صليب المسيح:

بين رحمة الله
و عدالة الشيطان

تأثير صليب المسيح و معناه

أدريـــان إيبنــز

صليب المسيح: بين رحمة الله وعدالة الشيطان

تأثير ومعنى صليب المسيح

إهداء لأصدقائي الأعزاء

ثُر وآزاديه

تمت الطباعة بواسطة

fatheroflove.info

أغسطس 2019

© Adrian Ebens, 2019

adrian@life-matters.org

الفهرس

1. يَا أَبَتَاهُ، اغْفِرْ لَهُمْ 4
2. اصلبه! 9
3. فِي كُلِّ ضِيقِهِمْ تَضَايَقَ 12
4. أَهكَذَا مَا قَدَرْتُمْ أَنْ تَسْهَرُوا مَعِي سَاعَةً وَاحِدَةً؟ 17
5. بِذَبِيحَةٍ وَتَقْدِمَةٍ لَمْ تُسَرَّ 20
6. لَنَا نَامُوسٌ 30
7. وَكَمَا رَفَعَ مُوسَى الحيّة فِي الْبَرِّيَّةِ 40
8. اَللَّهُمَّ، فِي الْقُدْسِ طَرِيقُكَ 45
9. تسبحة ختامية 52

الفصل الأول

يَا أَبَتَاهُ، اغْفِرْ لَهُمْ

كانت الأفكار والذكريات تتوارد إلى عقلي بسرعة، مما جعلني أشعر شعورًا عميقًا بالندم. كانت هذه الذكريات المتزايدة باستمرار مرتبطة بعلاقاتي المتدهورة مع الآخرين وأصبحت عبئًا ثقيلاً علىَّ. وبات بحثي عن السلام والطمأنينة الآن أمرًا في غاية الأهمية والجدية. وإذ كنت أفكر في فورات غضبي الأخيرة، شعرت بكراهية لذاتي ورغبةً في التغيير وأن أصبح شخصًا أفضل مما كنت عليه في تلك اللحظات. الكلمة التي لمعت في مخيلتي في ذلك الحين هي الغفران وحاجتي إليه.

هل سبق لك أن وصلت في حياتك إلى مرحلة أدركت فيها أنك تكره نفسك؟ ورغم محاولاتك المتعددة لتغيّر حياتك، ترجع مرة أخرى إلى نقطة الصفر وتجد نفسك في نفس المكان تعاني من نفس المشاعر الصعبة التي تجعلك مضطربًا؟ وكيف تهرب أو تتخلّص من الأفكار المزعجة التي تراها في نفسك؟

يثبت هذا الاختبار صحة كلمات الكتاب المقدس إذ يخبرنا:

> "كَمَا هُوَ مَكْتُوبٌ: أَنَّهُ لَيْسَ بَارٌّ وَلَا وَاحِدٌ. لَيْسَ مَنْ يَفْهَمُ. لَيْسَ مَنْ يَطْلُبُ ٱللهَ. ٱلْجَمِيعُ زَاغُوا وَفَسَدُوا مَعًا. لَيْسَ مَنْ يَعْمَلُ صَلَاحًا لَيْسَ وَلَا وَاحِدٌ" (رومية 3: 10 – 12).

يحاول الكثيرون الهروب من هذه الحالة وذلك بغض الطرف عن عيوب شخصيتهم وأخطائهم والتركيز على عيوب الآخرين وأخطائهم. وحيث أننا جميعًا نعاني من عيوب في شخصياتنا، فإنه من السهل أن نلقي اللوم على شخص آخر عندما نمر بمواقف صعبة. لكن محاولة إيجاد السلام وراحة البال بهذه الطريقة ستدمر حتمًا علاقتنا بالآخرين وتؤدي بنا إلى درجة أكبر من الحزن والوحدة. فالسبيل الوحيد للسلام وراحة البال والحرية هي تحمل مسؤولية أفعالنا والسعي لنيل الغفران من خالقنا وصانعنا الرؤوف.

> "فَفَتَحَ فَاهُ وعَلَّمَهُمْ قَائِلًا: طُوبَى لِلْمَسَاكِينِ بِٱلرُّوحِ، لِأَنَّ لَهُمْ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَاوَاتِ. طُوبَى لِلْحَزَانَى، لِأَنَّهُمْ يَتَعَزَّوْنَ" (متى 5: 2 – 4).

وعندما بدأت أفكر، وجدت نفسي في هذه الحالة بالضبط، فحزنت بسبب أنانيتي والألم الذي ألحقته بالآخرين بسبب حاجتي للفت الانتباه.

لقد نشأت في بيت مسيحي، تعلّمت فيه محبة الله التي تجلّت في حياة يسوع المسيح. وعندما كنت طفلاً سمعت هذه الكلمات تتردد عدة مرات:

"تَعَالَوْا إِلَيَّ يا جَمِيعَ ٱلْمُتْعَبِينَ وَٱلثَّقِيلِي ٱلْأَحْمَالِ، وَأَنَا أُرِيحُكُمْ" (متى 11: 28).

لقد وجدت العزاء الذي كنت بحاجة إليه عندما أدركت أنني أستطيع اللجوء إلى الرب يسوع لإيجاد الطمأنينة والراحة من همومي وأتعابي. فبدأت أتأمل في حياة المسيح، ولا سيما المشاهد الأخيرة المتعلقة بموته. فقصة الصليب لديها قوة عظيمة لتطييب النفوس المنكسرة التي وصلت إلى نهاية قدرتها على إنقاذ نفسها. لقد غيَّر الصليب حياة الملايين معطيًا إياهم سلامًا ورجاءًا. ومع ذلك فهو يحتوي على قضية غامضة. فكيف يمكن لقصة بها خيانة وتعذيب وقتل إنسان بريء منذ ألفي عام أن تجلب السلام إلى نفسي؟ وما هي علاقة ذلك بي اليوم؟

تبدو هذه القصة غير مفهومة في البداية. أليس من المنطقي أكثر أن نحصل على هذا السلام بالذهاب إلى مكان هادئ معبق برائحة البخور والعطور والموسيقى الهادئة ومن حولنا مناظر طبيعية خلابة؟ إذ تجدد قصة الصليب الحياة في النفس، نسمع أصوات الجنود وهم يصرخون، وصوت الجلدات وهي تنهمر على ظهر المسيح، كما نرى صليبه الخشبي الثقيل يرتطم بجسده المقدس، فيقع المخلّص على الأرض مُصابًا بالإغماء. ونسمع أيضًا استهزاء الجموع، ونرى وجوههم الغاضبة الملتويةً وهي تتلذذ بمشاهدة مناظر الوحشية.

ما هو سر هذه القضية الغامضة؟ وكيف يمكن لهذه القصة أن تمنحني السلام والطمأنينة وراحة البال؟ وكيف يمكن لقصة موت أن تحقق ذلك؟

توجد رغبتان في النفس الإنسانية – رغبة قوية لتجنب النظر إلى هذا المشهد، ورغبة تدفع الإنسان لمشاهدة الأحداث الدرامية المتعلقة بهذا المشهد. فوحشية هذا المشهد هي إلى حد ما مألوفة بشكل غريب، وفي نفس الوقت مرعبة. ثم نصل إلى الموضع الذي يقال له الجمجمة أو الجلجثة. كان المسيح مستلقيًا بوداعة على أداة التعذيب، والدم ينزف من وجهه بسبب إكليل الشوك الذي وضعه المعذبون فوق رأسه. أما الرجلان اللذان لقيا معه نفس هذا المصير، فقد كانا يقاومان بشدة سعيًا منهما لتأخير مصيرهما المحتوم. وقد أصبح ظهر المخلّص غير واضح المعالم بسبب كثرة الجلدات التي انهالت عليه قبل ذلك بقليل. فما الذي فعله هذا الرجل حتى يستحق كل هذه المعاملة الوحشية؟

مجرد قراءة بسيطة لقصة الإنجيل ستكشف لنا عن حياة المخلّص الممتلئة عطفًا ورحمةً وشفقةً، وعن أجمل الصور التي رسمها عن أبيه السماوي الممتلئ بالمحبة والعطف والإحسان. كيف يمكن لهذا الرجل البار أن يواجه مثل هذه المعاملة الهمجية؟

ويجذب انتباهنا صوت المسامير وهي تخترق تلك اليدين الحنونتين التي باركت الكثيرين. ونرى قدميه الطاهرتين المثقوبتين التي كانت تسير في شوارع إسرائيل المتربة، نراها وهي مثبتة على الصليب الخشبي. ثم يُرفَع الصليب ويُثبَّت بلا رحمة في مكانه لينظر العالم كله إليه، فهذه القصة التي سجلتها أسفار الوحي المقدسة سيُخبَّر بها، والملايين سيقرأونها من تلك الحظة فصاعدًا.

وبينما كنت أتأمل في الصليب والأحداث المرافقة له بحثًا عن التخلص من الذنب، أشفق قلبي على هذا الرجل البريء الذي كان هو أيضًا ابن الله. وتتبعت في مخيلتي خطواته من جثسيماني حتى الوصول إلى الجلجثة. تأملت في كلمات بيلاطس الحاكم الروماني:

"هُوَذَا ٱلْإِنْسَانُ!" (يوحنا 19: 5).

شاهدته وهو يترنح ويسقط في البستان، وعرقه كقطرات دمٍ نازلة على الأرض في عذاب شديد. وشاهدته عندما هرب تلاميذه وتركوه تحت رحمة الأعداء. وتعجبَّت في ذهول عندما اختار الجمع الحاضر باراباس المُجرِم وأرادوا أن يصلبوا ابن الله. لماذا يفعلون ذلك؟ ما هو الشر الذي اقترفه حتى يستحق كل هذا العذاب؟ كما شاهدته وهو يتعرَّض للسخرية والضرب واللطم والمعاملة البَشِعة:

"فَأَخَذَ عَسْكَرُ ٱلْوَالِي يَسُوعَ إِلَى دَارِ ٱلْوِلَايَةِ وَجَمَعُوا عَلَيْهِ كُلَّ ٱلْكَتِيبَةِ، فَعَرَّوْهُ وَأَلْبَسُوهُ رِدَاءً قِرْمِزِيًّا، وَضَفَرُوا إِكْلِيلًا مِنْ شَوْكٍ وَوَضَعُوهُ عَلَى رَأْسِهِ، وَقَصَبَةً فِي يَمِينِهِ. وَكَانُوا يَجْثُونَ قُدَّامَهُ وَيَسْتَهْزِئُونَ بِهِ قَائِلِينَ: «ٱلسَّلَامُ يا مَلِكَ ٱلْيَهُودِ!». وَبَصَقُوا عَلَيْهِ، وَأَخَذُوا ٱلْقَصَبَةَ وَضَرَبُوهُ عَلَى رَأْسِهِ. وَبَعْدَ مَا ٱسْتَهْزَأُوا بِهِ، نَزَعُوا عَنْهُ ٱلرِّدَاءَ وَأَلْبَسُوهُ ثِيَابَهُ، وَمَضَوْا بِهِ لِلصَّلْبِ" (متى 27: 28 – 31).

لقد كانت تجربة إلقاء اللوم على عديمي الشفقة والرحمة الذين قاموا بهذه الأحداث تجربة قوية، لكنني عندما تأملت بعد ذلك في معاملتي القاسية للآخرين، أدركت أنني مذنب مثلهم تمامًا، فتبادرت إلى ذهني كلمات السيِّد المسيح التالية:

"فَيُجِيبُ ٱلْمَلِكُ وَيَقُولُ لَهُمُ: ٱلْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ: بِمَا أَنَّكُمْ فَعَلْتُمُوهُ بِأَحَدِ إِخْوَتِي هَؤُلَاءِ ٱلْأَصَاغِرِ، فَبِي فَعَلْتُمْ" (متى 25: 40).

ألم أضحك وأستهزأ من الآخرين وأتهكم بهم؟ ألم أشاهد أفلامًا تحتوي على مشاهد وحشية وكنت أبتهج عندما أرى الأشرار أو المجرمين في هذه الأفلام وهم يتعذبون ويُقتَلون. ألم تخرج من فمي شتائم ولعنات ضد من أظلمني وأخطأ في حقي؟ لقد زاد إحساسي بالدينونة وأنا أقرأ.

وبينما كنت أتأمل في اللصين اللذين صلبا بجوار يسوع، أثرَّت فيَّ بشدة كلمات اللص الذي قال:

"أَمَّا نَحْنُ فَبِعَدْلٍ، لِأَنَّنَا نَنَالُ ٱسْتِحْقَاقَ مَا فَعَلْنَا، وَأَمَّا هَذَا فَلَمْ يَفْعَلْ شَيْئًا لَيْسَ فِي مَحَلِّهِ" (لوقا 23: 41).

والدينونة التي كنت أدين بها مَنْ كانوا يكرهوني ويزعجوني سابقًا قد عادت إليَّ الآن وبقوة بينما كنت أنظر إلى المسيح على الصليب، إذ شعرت بتأثير الكلمات التالية:

"لِأَنَّكُمْ بِٱلدَّيْنُونَةِ ٱلَّتِي بِهَا تَدِينُونَ تُدَانُونَ، وَبِٱلْكَيْلِ ٱلَّذِي بِهِ تَكِيلُونَ يُكَالُ لَكُمْ" (متى 7: 2).

في لحظة غامرة وأنا أتأمل وأتفرَّس في الصليب، وعلى الرغم من مرور ألفي عام على هذا الحدث الجليل، شعرت أنني كنت موجودًا هناك كشاهد على هذه المأساة. لقد تباطأ العالم من حولي وتلاشت الضجة وحالة الفوضى والاضطراب من حول الصليب بينما كنت أنظر إلى ابن الله وأتفرس في وجه الجميل، وسمعت هذه الكلمات تخرج من شفتيه.

"فَقَالَ يَسُوعُ: يَا أَبَتَاهُ، ٱغْفِرْ لَهُمْ، لِأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ مَاذَا يَفْعَلُونَ" (لوقا 23: 34).

اشتعلت شرارة أمل في داخلي وتغلغلت معاني تلك الكلمات في نفسي. فالغفران الذي طالما رغبته وتمنيته، ها هو ببلاغة يقدّم نفسه ويرحب بي. وإذ أركع أمام خالقي وصانعي والدموع تسيل من عيني، أنظر إلى وجه محبته فيذوب قلبي. في هذا الوجه لم أرَ أية دينونة على الإطلاق. بل كان يغمرني إحساسٌ بالذنب أن خطاياي كان لها دور في آلامه على الصليب، ومع ذلك فقد كان قلبه يخلو من الدينونة، ولم يُظهِر غير المحبة والعفو والغفران.

فهو لم يلومني على الألم والمعاناة التي سببتها له، لكنه غفر لي بدون مقابل. وأنا لا زلت أسأل نفس السؤال، هل سأقبل أنا بذلك؟ هل سأصدق أنه قد غُفِر لي؟ من واقع تجربتي واختباري فقد قبلت ذلك من كل قلبي وأخذت ميراثي في الحياة الأبدية. لقد اعترفت للرب يسوع بندمي وأسفي على ما فعلته وطلبت منه أن يكون السيِّد والرب على حياتي. في الحال شعرت بسلام لم أشعر به من قبل، سلامٌ ممتلئ شفاءً، ممتلئ طمأنينة، وممتلئ حرية. وإحساسي بالذنب الذي كان حملاً ثقيلاً على قلبي زال واختفى، وشعرت بفرح تعجز الكلمات عن وصفه يملأ كياني وروحي – فرحٌ يختبره فقط أولئك الذين يقبلونه بسرور.

انهمرت الدموع من عينيَّ مثل ينبوع الماء الحي بامتنان وشكرٍ. والراحة التي كنت أبحث عنها وجدتها أخيرًا وصارت ملكي. والشكر (الامتنان) الذي شعرت به كان عظيمًا جدًا، وبكل سعادة سلمت حياتي للرب وقبلته ربًا ومخلصًا.

ذلك كان ولا يزال لقائي المبارك والمُفرِح مع الصليب الذي جعلني أسأل الكثير من الأسئلة. فكيف يمكن لشيء بهذا الجمال أن يخرج من شيء بهذا الشكل من الفظاعة؟ وكيف يمكنك أن تشعر بحدثٍ وقع منذ أكثر من ألفي عام وكأنه حدث اليوم؟ ما هي العوامل أو العناصر الرئيسية التي أدت إلى ذلك؟ ولماذا يجب عليك أن تهتم بمسألة الصليب هذه ولقائك الشخصي معه؟ دعونا نتأمل في الصليب لنرى.

الفصل الثاني

اصلبه!

"... وَٱبْنُ ٱلْإِنْسَانِ يُسَلَّمُ إِلَى رُؤَسَاءِ ٱلْكَهَنَةِ وَٱلْكَتَبَةِ، فَيَحْكُمُونَ عَلَيْهِ بِٱلْمَوْتِ، وَيُسَلِّمُونَهُ إِلَى ٱلْأُمَمِ لِكَيْ يهزؤوا بِهِ وَيَجْلِدُوهُ وَيَصْلِبُوهُ، وَفِي ٱلْيَوْمِ ٱلثَّالِثِ يَقُومُ" (متى 20: 18 – 19).

لماذا كان شيوخ إسرائيل يُبغِضون الرب يسوع بهذا الشكل؟ ولماذا كانوا عازمين على قتله والتخلص منه؟ وكيف يمكن للإنسان الذي جلب الكثير من الفرح والبهجة إلى العالم أن يشكّل خطرًا أو تهديدًا؟

"كَانَ ٱلنُّورُ ٱلْحَقِيقِيُّ ٱلَّذِي يُنِيرُ كُلَّ إِنْسَانٍ آتِيًا إِلَى ٱلْعَالَمِ. كَانَ فِي ٱلْعَالَمِ، وَكُوِّنَ ٱلْعَالَمُ بِهِ، وَلَمْ يَعْرِفْهُ ٱلْعَالَمُ. إِلَى خَاصَّتِهِ جَاءَ، وَخَاصَّتُهُ لَمْ تَقْبَلْهُ" (يوحنا 1: 9 – 11).

كان هؤلاء القادة يمثلون الجنس البشري بأسره في حالته الطبيعية وموقفه من ابن الله الممسوح من الآب.

"نَبَتَ قُدَّامَهُ كَفَرْخٍ وَكَعِرْقٍ مِنْ أَرْضٍ يَابِسَةٍ، لَا صُورَةَ لَهُ وَلَا جَمَالَ فَنَنْظُرَ إِلَيْهِ، وَلَا مَنْظَرَ فَنَشْتَهِيَهُ. **مُحْتَقَرٌ وَمَخْذُولٌ مِنَ ٱلنَّاسِ**، رَجُلُ أَوْجَاعٍ وَمُخْتَبِرُ ٱلْحَزَنِ، وَكَمُسَتَّرٍ عَنْهُ وُجُوهُنَا، **مُحْتَقَرٌ فَلَمْ نَعْتَدَّ بِهِ**" (إشعياء 53: 2- 3).

"قَامَ مُلُوكُ ٱلْأَرْضِ، وَتَآمَرَ ٱلرُّؤَسَاءُ مَعًا عَلَى ٱلرَّبِّ وَعَلَى مَسِيحِهِ، قَائِلِينَ: لِنَقْطَعْ قُيُودَهُمَا، وَلْنَطْرَحْ عَنَّا رُبُطَهُمَا" (مزمور 2: 2 – 3).

إن قصة الصليب هي أعظم وأوضح لحظة في تاريخ البشرية، حيث تكشف عن موقفنا المشترك تجاه ابن الله فيما ورثناه بالطبيعة من آدم. وقد أثبتت هذه القصة صحة ما قاله الرسول بولس:

"لِأَنَّ ٱهْتِمَامَ ٱلْجَسَدِ هُوَ عَدَاوَةٌ لِلهِ، إِذْ لَيْسَ هُوَ خَاضِعًا لِنَامُوسِ ٱللهِ، لِأَنَّهُ أَيْضًا لَا يَسْتَطِيعُ" (رومية 8: 7).

من أين أتت هذه العداوة؟ في البداية أخبر الله آدم وحواء بكل محبة عن وجود شجرة في وسط الجنة، وأمرهما ألا يمساها أو يأكلا منها لأن ذلك سيؤدي إلى موتهما واختفائهما من الوجود. وكانت تلك الشجرة موضوعة في الجنة لإعطاء آدم وحواء الفرصة أن يختارا طاعة خالقهما.

فبدون وجود هذا الشرط أو المبدأ في الجنة، لن يتمكنا من ممارسة حرية الاختيار التي وُهِبت إليهما. إلا أن الاختيار ضد الله يعني الانفصال عن مصدر الحياة.

كيف ينبغي فهم كلام الله؟ وهل قال هذا الكلام بدافع المحبة والعناية غير المحدودة وما فيه خير وصالح آدم وحواء؟ لقد استغل الشيطان فرصته للتأثير على آدم وحواء، فجاء إلى حواء في صورة حيَّة ووضع في ذهنها فكرة مختلفة عن الكلام الذي تكلَّم به الله.

"فَقَالَتِ ٱلْحَيَّةُ لِلْمَرْأَةِ: لَنْ تَمُوتَا! بَلِ ٱللهُ عَالِمٌ أَنَّهُ يَوْمَ تَأْكُلاَنِ مِنْهُ تَنْفَتِحُ أَعْيُنُكُمَا وَتَكُونَانِ كَٱللهِ عَارِفَيْنِ ٱلْخَيْرَ وَٱلشَّرَّ" (تكوين 3: 4 – 5).

لقد لمَّح الشيطان إلى أن الله أناني، وأنه كان يحاول منع آدم وحواء من بلوغ كامل قدراتهما. وعندما وضع الشيطان كلمات الله في غير هدفها الحقيقي، فقد غيَّر تمامًا معنى ما قاله الله وما سيحدث لهما إذا أكلا من ثمر الشجرة المحرَّمة، وقد فعل ذلك باستخدام المنطق المعكوس. "لن تموتا". وهذا فيه إشارة أو تلميح أن الله سيتأكد من أنهما سيموتان، أي أن الله كانت لديه رغبة ودافع أناني لتقييد حريتهما ومنعهما من بلوغ كامل قدراتهما. وهذا يعني أن آدم وحواء كانا يفهمان أن موتهما أمرًا مؤكدًا وليس ممكنًا، أو بمعنى آخر فآدم وحواء كانا يدركان ويعلمان أن الله سوف يُميتهما إذا أكلا من الشجرة، عوضًا عن أن يسمح لهما أن يهلكا نفسيهما في إثمهما وخطيتهما. الفرق هائلٌ!

أخذ آدم من ثمر الشجرة وأكل، وكان تحت الانطباع أن الله سيقتل زوجته لتعديها على وصية الله، وفي ظل فهمه الخاطئ أن الله ظالم ومستبد، قرر آدم بروح الكراهية والتمرد والعصيان أن يتحدى الله وأن يقف بجوار حواء في كل ما سيحدث لها. وفي الوقت نفسه كان آدم يفكر في نفسه إذا كانت كلمات الحيَّة صحيحة، وهذا شجعه على الأخذ من ثمر الشجرة والأكل منها والانضمام إلى الحيَّة في تحدِ الله.

هنا نجد مصدر كراهية الإنسان الله. فقد كان لدى آدم انطباع خاطئ عن شخصية الله وصفاته وقد تصرَّف بناءً عليه. وحيث أنه كان يؤمن أن الله سيحمي مصالحه الخاصة بقتل الآخرين، أظهر آدم هذه الصفة بخوفه من الموت وهو قيد الاستجواب.

"فَقَالَ: «سَمِعْتُ صَوْتَكَ فِي ٱلْجَنَّةِ فَخَشِيتُ، لِأَنِّي عُرْيَانٌ فَٱخْتَبَأْتُ». فَقَالَ: «مَنْ أَعْلَمَكَ أَنَّكَ عُرْيَانٌ؟ هَلْ أَكَلْتَ مِنَ ٱلشَّجَرَةِ ٱلَّتِي أَوْصَيْتُكَ أَنْ لَا تَأْكُلَ مِنْهَا؟» فَقَالَ آدَمُ: **ٱلْمَرْأَةُ ٱلَّتِي جَعَلْتَهَا مَعِي هِيَ أَعْطَتْنِي مِنَ ٱلشَّجَرَةِ فَأَكَلْتُ**" (تكوين 3: 10 – 12).

خاف آدم لأنه كان تحت تأثير انطباعه الخاطئ بأن الله قد أتى لقتله. وعندما سُئل عما إذا كان قد أكل من الشجرة التي أمر بعدم الأكل منها، ألقى باللوم على زوجته وعلى الله. لقد كان آدم في حقيقة الأمر يقول: "إذا كان من الضروري أن يموت أحدٌ، فعليك أن تأخذ زوجتي وتقتلها، وأنت أيضًا ينبغي أن تموت لأنك خلقتها!"

كل هذا ينبع من الفكرة الخاطئة بأن الله سوف يقتل لحماية مصالحه. وإذ أدرك آدم أنه لا يوجد مخرج آخر غير الموت، فحكم على زوجته وعلى الله بالموت لحماية مصالحه. ونلاحظ باهتمام أن كل الطرق والوسائل التي استخدمها الله للتواصل مع الإنسان بعد السقوط كانت من خلال ابن الله الوسيط الوحيد بين الله والناس كما يقول الكتاب في رسالة بولس الرسول الأولى إلى تيموثاوس 2: 5. وبهذا حكم آدم على ابن الله بالموت لأنه صنع امرأة كانت في اعتقاده السبب في وقوعه في التجربة وكسر وصية الله. "الْمَرْأَةُ الَّتِي جَعَلْتَهَا مَعِي" - هذه الكلمات تحتوي على بذور صرخة "اصلبه" الذي كان سيدوي صداها بعد ذلك بـ 4000 سنة.

نمت جذور هذه البذرة في أعماق قلب آدم، حتى إن آدم نفسه لم يرى هذه الحقيقة. ولو وجَّه ابن الله التهمة لآدم أنه كان يخطط لقتل المسيح، لأجابه آدم بنفس الطريقة التي أجابه بها نسله من بعده.

"... لِمَاذَا تَطْلُبُونَ أَنْ تَقْتُلُونِي؟ أَجَابَ ٱلْجَمْعُ وقَالُوا: بِكَ شَيْطَانٌ. مَنْ يَطْلُبُ أَنْ يَقْتُلَكَ؟" (يوحنا 7: 19 و20).

لقد كان بمقدور آدم أن ينكر التهمة الموَّجهة له من قبل ابن الله باعتبارها ردة فعل مفرطة لمشكلة من المفترض أنها صغيرة. ولم تكن هناك طريقة أخرى للتخلص من بذرة الموت هذه إلا بعد أن تظهر أولاً ويقوم آدم بالتوبة والرجوع عن شره تجاه ابن الله.

بذرة الموت هذه هي ميراث كل رجل وكل امرأة. فقد نجح العدو في غرس هذه البذرة في قلوبنا، وأصبحنا نحتفظ في داخلنا بهذا العصيان الموروث والرغبة في إيذاء ابن الله بشكل غير ملحوظ. ولهذا السبب يقول عنه الكتاب أنه مخذول ومحتقر من جميع الناس، وليس فقط من الناس الذين صلبوه منذ 2000 سنة.

إن الآثار المترتبة على ذلك بعيدة المدى، ومن ثم فمبدأ الصليب لا يقتصر فقط على يوم واحد بل يمتد ليشمل كل يوم في تاريخ البشرية.

الفصل الثالث

فِي كُلِّ ضِيقِهِمْ تَضَايَقَ

"فَسَيَسْجُدُ لَهُ جَمِيعُ ٱلسَّاكِنِينَ عَلَى ٱلْأَرْضِ، ٱلَّذِينَ لَيْسَتْ أَسْمَاؤُهُمْ مَكْتُوبَةً **مُنْذُ تَأْسِيسِ ٱلْعَالَمِ فِي سِفْرِ حَيَاةِ ٱلْخَرُوفِ ٱلَّذِي ذُبِحَ**" (رؤيا 13: 8).

عندما كان الرب يسوع يتحدث عن الصليب، فقد كان يستخدم تعبيرات تتخطى إدراك غالبية الناس.

"حِينَئِذٍ قَالَ يَسُوعُ لِتَلاَمِيذِهِ: إِنْ أَرَادَ أَحَدٌ أَنْ يَأْتِيَ وَرَائِي **فَلْيُنْكِرْ نَفْسَهُ وَيَحْمِلْ صَلِيبَهُ** وَيَتْبَعْنِي" (متى 16: 24).

إن مبدأ الصليب يقوم على إنكار الذات، وقد أظهر الرب يسوع هذا المبدأ في الأحداث التي سبقت صلبه. فهو لم يدافع عن نفسه ضد التهكم والسخرية والضرب الذي تعرَّض له، فقد تحمَّل ذلك بصبرٍ على الرغم من شدة المعاناة التي سببها ذلك له. لقد كانت كل قوة الكون تحت إمرته. وفي لحظة، كان قادرًا على إنهاء معاناته وألمه، لكنه باتضاع خضع حتى يمنح الفرصة لأعدائه ومضطهديه أن يتوبوا ويغيروا فكرهم عنه. كان المسيح يأمل أن يتوبوا عن أعمالهم قبل أن يهلكوا أنفسهم في خراب أورشليم بعد أربعين عامًا.

الحقيقة هي أن ابن الله يحمل كل الأشياء في الكون، وهذا ما يؤكد عليه الوحي المقدس:

"ٱلَّذِي هُوَ قَبْلَ كُلِّ شَيْءٍ، **وَفِيهِ يَقُومُ ٱلْكُلُّ**" (كولوسي 1: 17).

"ٱلَّذِي، وَهُوَ بَهَاءُ مَجْدِهِ، وَرَسْمُ جَوْهَرِهِ، **وَحَامِلٌ كُلَّ ٱلْأَشْيَاءِ بِكَلِمَةِ قُدْرَتِهِ**" (عبرانيين 1: 3).

وبما إن السيِّد المسيح هو الذي خلقنا، فهو أبونا الرحيم الذي يحن ويتوق إلى كل رجل وامرأة وطفل. وهو يرغب أن يعيش كل واحد من أبنائه في بيئة سعيدة وصحية وسلمية، وهذه الرغبة هي تعبير عن أبيه مصدر كل شيء في هذا الكون. وهذا يعني أن المسيح يئن ويتألم عندما يتألم أحد أبنائه، فقلبه يتألم لمعاناة البشر وآلامهم. تحدث النبي إشعياء عن هذا فقال:

"**فِي كُلِّ ضِيقِهِمْ تَضَايَقَ**، وَمَلاَكُ حَضْرَتِهِ خَلَّصَهُمْ. بِمَحَبَّتِهِ وَرَأْفَتِهِ هُوَ فَكَّهُمْ وَرَفَعَهُمْ وَحَمَلَهُمْ كُلَّ الأَيَّامِ الْقَدِيمَةِ" (إشعياء 63: 9).

لقد اختبر المسيح كل شيء اختبرته إسرائيل كأمة وكأفراد، وكان معهم في جميع آلامهم ومعاناتهم. لكن المسيح لم يعاني من أجل إسرائيل وحدها، بل من أجل جميع الذين يعيشون على وجه الأرض.

إذا كان لديك أطفال، ما هو شعورك عندما يُجرَح ابنك ويعاني من الألم الشديد؟ بدون شك سيعتصر الألم والحزن قلبك. وما هو شعورك عندما يأذي أحد أبنائك واحد من أبنائك الآخرين؟ بالطبع سيكون الحزن والألم أكبر، إذ أنك ستتألم من أجل ابنك الجريح، وتصاب بخيبة أمل من الابن الذي تسبب بالجرح.

وما هو شعور الأب أو الأم عندما يلحق شخص ما من خارج الأسرة ضررًا بابنهما؟ الشعور الطبيعي للكثيرين هو محاسبة ذلك الشخص ومعاقبته. وماذا عن شعور الرب يسوع عندما تتعرَّض إحدى بناته للاغتصاب؟ سيكون حزنه وألمه أعظم بكثير مما يشعر به الأب أو الأم تجاه بنتهما. إن الاستجابة البشرية للتعامل مع الجاني تتمثَّل في إيقاع الجزاء أو العقوبة المناسبة عليه. أما بالنسبة للمسيح، فالجاني هو أيضًا ابنه، وهو مجروحٌ بسبب سيئات أعماله، ولكنه إذا انسحب وسحب معه حمايته عنه، فسوف يموت وهو لا يريد أن أحدًا يموت. ولذلك فالمسيح يعاني ويتألم في صمت بينما يؤذي الرجال والنساء والأطفال بعضهم ويقتلون واحدهم الآخر.

إننا في كل مرة نخطئ فيها، نقاوم دعوة روح المسيح والتماسه للنفس. وفي كل مرة نفعل فيها الأشياء التي نعلم أنها خاطئة، فإننا نضع مسمارًا في يده.

"... **(إن) سَقَطُوا**، لَا يُمْكِنُ تَجْدِيدُهُمْ أَيْضًا لِلتَّوْبَةِ، **إِذْ هُمْ يَصْلِبُونَ لِأَنْفُسِهِمْ ٱبْنَ ٱللهِ** ثَانِيَةً وَيُشَهِّرُونَهُ" (عبرانيين 6: 6).

في كل مرة يلطم فيها شخص شريك حياته، يشعر المسيح بذلك. وفي كل مرة يرتجف فيها الطفل في ركن من أركان المنزل بينما يضرب أبيه أمه، فالمسيح يشعر أيضًا بكل هذا. لكنه لا يستطيع إجبار الناس على التوقف عن فعل هذه الأشياء، فاستخدام القوة في هذه الحالات، لا يغيّر شخصية أولئك الذين يفعلون الشر، إلا أن استخدامها سيغيّر من شخصية الله وصفاته بالتأكيد. لكن الكتاب المقدس يقول أن الله لا يتغيّر (ملاخي 3: 6). ولنتذكر أيضًا أن كل ممنوع مرغوب في طبيعتنا، فإذا أدرك الشخص أن الله يجبره، فقد يجعله هذا أكثر عزمًا وتصميمًا على المقاومة وفعل الشر.

وعندما ندرك ما يعانيه المسيح من الآلام لرؤية البشر يلحقون الأذى ببعضهم البعض، سنصل إلى المفهوم الحقيقي والواضح للصليب، وبذلك يستحيل علينا العيش بنفس الطريقة التي كنا عليها من قبل إدراك كل هذا. لاحظ الإحصائيات التالية من موقع worldmeters.info :

وفقًا لمنظمة الصحة العالمية هناك ما يقدر بـ 40-50 مليون حالة إجهاض سنويًا. أي ما يقارب 125,000 عملية إجهاض يوميًا.[1] هل يمكننا أن نتخيل قدر المعاناة التي يقاسيها المسيح من أجل 125,000 من أبنائه الذين يموتون بهذه الطريقة على نحو يومي؟ وماذا عن مشاعر الأم وهي تحاول أن تتقبل الوضع والقرار الذي إتخذته بشأن إنهاء حملها؟ يستحيل على العقل البشري أن يستوعب مقدار الألم والمعاناة الناجمة عن هذه الإحصائيات.

واليوم حوالي 3000 شخص يموتون بسبب حوادث الطرق و2800 يُقدِمون على قتل أنفسهم. فيا ترى ما هو مقدار الألم والمعاناة الذي تنطوي عليه هذه الإحصائيات ليس لمن ماتوا فحسب، بل أيضًا لذويهم المتبقين خلفهم؟ وكم عدد النساء والأطفال الذين يتعرضون للإيذاء الجنسي من قبل الرجال اليوم؟ تشير الإحصائيات إلى أن هناك ما يقرب من 25 مليون شخص يقعون ضحايا للإتجار بالبشر، وأكثر من نصفهم يتعرضون للإيذاء الجنسي.[2] 71% من أصل هؤلاء الـ 25 مليون شخصًا هم من النساء والفتيات. واليوم أيضًا تتعرَّض 137 امرأة للقتل على يد شريك حياتها أو شريك حياتها السابق في أماكن مختلفة حول العالم.[3]

إن مقدار الألم والمعاناة التي يشعر بها السيَّد المسيح بسبب هذه الإحصائيات لا يمكن وصفها، وهي ليست إلا قلة قليلة من الإحصائيات التي تعكس مدى المعاناة البشرية التي تحدث حول العالم كل يوم.

والسيَّد المسيح مجبرٌ كل يوم على تحمل عنف الرجال والنساء وأنانيتهم. قد يطرح أحدهم السؤال: "لماذا لا يخلّص المسيح نفسه وينزل من صليب إنكار الذات هذا؟" فكل يوم هو جحيم حي له ولملائكته الأحباء الذين يُرسَلون لأجل حمايتنا ويضطرون أيضًا لرؤية هذه الفظائع والبشاعات. هل سبق لك أن تمنيت لو كنت ملاكًا؟ فكّر مليًا في مقدار الحزن الذي ينبغي أن يتحمله الملائكة في سبيل رعاية الأبناء والبنات الساقطين في هذا العالم. هل ترغب في القيام بالعمل الذي يقومون به طوعًا واختيارًا – أن تُجبَر على مشاهدة طفل يُعتدى عليه لأنه لا يوجد مَنْ يطلب من الرب يسوع مساعدته، أو رؤية أشخاص يرفضون قبول النور المرسل إليهم؟ إلى أي مدى سيكون هذا الملاك عاجزًا وحزينًا لمشاهدته هذا المشهد؟

فكّر في حالة (ضائقة) الزوجة التي تتعاطى ابنتها المخدرات ويعتدي عليها زوجها ويعاملها بعنف. كيف يمكن إيقاف هذا ومعالجته؟ هل تجبر ابنتك على التغيير؟ هل يمكنك معالجة المشكلة والتخلص من كل هذه الآلام والمنغصات؟ وماذا لو رفضت ابنتك المساعدة، هل

[1] worldometers.info/abortions/

[2] https://www.bustle.com/p/13-sex-trafficking-statistics-that-put-the-worldwide-problem-into-perspective-9930150

[3] BBC.com The Women killed in one day around the world. 28th Nov 2018

ستجبرها على التغيير؟ فبدون موافقتها لا يمكنك فعل الكثير، باستثناء السير معها وإخبارها بمدى حبك لها، وأنك تبذل قصارى جهدك لطمأنة قلبها بينما تسير في هذا الوادي المظلم وتتخطى محنتها. فمحاولة إجبارها على التغيير لن تؤدي إلا إلى تفاقم المشكلة.

إن أبانا السماوي ومخلّصنا الغالي في وضع مماثل. فعلى الرغم من قدراتهما وإمكاناتهما غير المحدودة، فلا يمكنهما تغيير إرادة أبنائهما، ولا يمكنهما إجبارنا على التغيير إلا إذا طلبنا منهما المساعدة وإنتبهنا إلى توجيهاتهما وإرشاداتهما وتبعناها.

يستحيل على العقل البشري تصديق هذا الصليب لاختلافه الكامل عن طريقة تفكيرنا. ففيه لا يوجد دفاع عن النفس أو حفاظ على النفس أو اهتمام بالمصلحة الذاتية، بل تكريس النفس الكامل لخدمة وراحة ومساعدة أبنائك (الذين هم أيضًا أبناء المسيح)، الذين لا يرغبون في أن يكون لك أي دَخْلٍ في حياتهم.

كثيرون من الناس يغضبون من الله لأنه يبدو وكأنه لا يبالي لمعاناتهم أو يكترث بكربهم. ولكن عندما يرفض الناس الاعتراف به أو حفظ وصاياه، فكيف يمكن للرب يسوع منع الشيطان من مهاجمتهم وهم يأذنون له بتدمير حياتهم برفضهم السير في طرق الله؟

أما أولئك الذين يؤمنون بالله ويسعون للسير في طرقه، أتقدرون أن تروا أن صليب المسيح لم يكن حدثًا استغرق يومًا واحدًا، بل اختبارًا شمل تاريخ البشرية كله؟ صحيح أن السيِّد المسيح مات مرة واحدة في الجسد، ولكن هذا الحدث هو المفتاح الذي نفهم من خلاله حقيقة أن المسيح يُصلَب كل يوم بسبب أفكار البشر وأفعالهم وأقوالهم. لنتأمل في آيات الوحي المقدس التالية:

> "**مَعَ ٱلْمَسِيحِ صُلِبْتُ**، فَأَحْيَا لَا أَنَا، بَلِ ٱلْمَسِيحُ يَحْيَا فِيَّ. فَمَا أَحْيَاهُ ٱلْآنَ فِي ٱلْجَسَدِ، فَإِنَّمَا أَحْيَاهُ فِي ٱلْإِيمَانِ، إِيمَانِ ٱبْنِ ٱللهِ، ٱلَّذِي أَحَبَّنِي وَأَسْلَمَ نَفْسَهُ لِأَجْلِي" (غلاطية 2: 20).

لماذا يقول الرسول بولس "مع المسيح صُلِبت"؟ لماذا لا يقول "صُلِبت مثل المسيح"؟ فإن كنت قد صلبت مع المسيح، أفلا يشير هذا إلى أن المسيح لا يزال مصلوبًا بسبب آثام البشر وخطاياهم اليوم؟

> "مُضْطَهَدِينَ، لَكِنْ غَيْرَ مَتْرُوكِينَ. مَطْرُوحِينَ، لَكِنْ غَيْرَ هَالِكِينَ. **حَامِلِينَ فِي ٱلْجَسَدِ كُلَّ حِينٍ إِمَاتَةَ ٱلرَّبِّ يَسُوعَ**، لِكَيْ تُظْهَرَ حَيَاةُ يَسُوعَ أَيْضًا فِي جَسَدِنَا" (كورنثوس الثانية 4: 9 – 10).

لماذا يتحدث الرسول بولس عن حمل إماتة الرب يسوع في أجسادنا؟ فالفعل مكتوب بصيغة المضارع لا بصيغة الماضي. ألا يعكس هذا فكرة أن المسيح يعاني ويتألم لآلام وأحزان أولئك الذين يتبعونه؟

فما هي إذن استجابة البشر لهذا الصليب وما يعانيه المسيح لأجلنا؟ من المستحيل أن تعيش لنفسك إذا فكرت في معاناته وآلامه اليومية. كيف يمكنك العيش لإرضاء نفسك رغم علمك أن المسيح في عذاب شديد كل يوم بسبب أفعالنا؟

جلست أحد الأيام أتفكر في هذا الموضوع، وكان التفكير فيما عاناه ويعانيه المسيح لأجلنا يطغي عليَّ بشدة، فسألته في الصلاة قائلاً: "كيف يمكنني أن أكون بركةً لك وأن أساعدك في ظل هذه الأمور؟" كان الجواب: "هل يمكنك السهر معي لمدة ساعة واحدة؟" أدعوك، عزيزي القارئ، أن تتأمل في معاناة مخلصنا وآلامه. هل الأشياء التي في العالم التي تحاول الاستمتاع بها والتي تعلم أنها تمنعك من السير بالقرب من مخلصك تستحق الألم والمعاناة التي يشعر بها؟ إن المسيح يتحمَّل عذابًا لا يوصف في كل ثانية يستمر فيها العالم بهذا الوضع. كل نَفَس تتنفسه له قيمة لا حد لها بسبب الآلام التي تكبدها ابن الله من أجلك، فقلبه الرحيم لن يجبر الناس على التغيير، ولكن ينتظر برغبة وشوق شديدين أن نأتي إليه كي نجد الراحة.

والله لا يضع مسؤولية الألم والمعاناة التي توجد في العالم علينا، ولا يمكننا تغيير العالم كله بأنفسنا لأجله. ولكن حينما نتأمل كل يوم في إنكار المسيح لذاته ومقدار المحبة والصبر اللذين يظهرهما لنا من خلال آلامه وإنكاره لذاته، فيمكننا أن نتغيَّر ونصبر على الآخرين ونتحمَّل أخطائهم وضعفاتهم دون الحاجة إلى التذمر والإشتكاء أو الغضب والإنزعاج.

لن تكفي دهور الأبدية اللامتناهية أن تعبر عن مقدار وحجم الآلام التي واجهها الرب يسوع على الصليب خلال الستة الآلاف سنة الماضية. فمحبته الإيثارية وتضحيته تكشف طبيعتنا الأنانية وتفضحها. إن التفكير في الصليب بهذه الطريقة يجعلك إما أن تلين بتواضع أو تتشدد لمقاومة هذه الحقيقة المذهلة عن محبة الله ومحاربتها.

هل ستسمح لنفسك بأن تنجذب إلى محبة الله في هذا التجلي العظيم للصليب، وأن ترى وتؤمن أن المسيح قد ذُبِح في روحه منذ تأسيس العالم وحتى الآن؟ فلولا ظهور الصليب الجسدي (الخشبي)، لَما عرفنا مشاعرنا الطبيعية الحقيقية تجاه المسيح. لقد تجلت بذرة العداوة في آدم بشكل كامل بموت المسيح قبل 2000 سنة، وشهدت البشرية النتائج الكاملة لما كان يكمن في قلب آدم بصورة غير مكتملة وبصورة غير مفهومة.

الآن بعد أن تعرفنا على قصة هذا الصليب فما هي استجابتنا لما فعله المسيح من أجلنا؟

الفصل الرابع

أَهكَذَا مَا قَدَرْتُمْ أَنْ تَسْهَرُوا مَعِي سَاعَةً وَاحِدَةً؟

لقصة الصليب تأثير كبير على أي شخص لا يزال محتفظًا بإنسانيته. أما مَنْ يقومون بقتل البشر والحيوانات فهم ذوو أرواح بائسة ينحدر فيها حس الإنسانية إلى مستويات خطيرة من التدني والانحطاط.

عندما شاهد التلاميذ مسيحهم وهو واقف أمام الناس ويتحدث بقوة وتبكيت عن ملكوت الله، شعروا بالفخر لأنهم كانوا معه ومرتبطين به. ولكن الأمر اختلف عندما كان يحمل صليبه في طريق الجُلجثة. فالذل والهوان والموت الذي تمَّ على الصليب لا تحب الطبيعة البشرية الارتباط به. وقد تجلّى ذلك في حياة بطرس الرسول على النحو التالي:

"مِنْ ذَلِكَ ٱلْوَقْتِ ٱبْتَدَأَ يَسُوعُ يُظْهِرُ لِتَلَامِيذِهِ أَنَّهُ يَنْبَغِي أَنْ يَذْهَبَ إِلَى أُورُشَلِيمَ وَيَتَأَلَّمَ كَثِيرًا مِنَ ٱلشُّيُوخِ وَرُؤَسَاءِ ٱلْكَهَنَةِ وَٱلْكَتَبَةِ، وَيُقْتَلَ، وَفِي ٱلْيَوْمِ ٱلثَّالِثِ يَقُومَ. **فَأَخَذَهُ بُطْرُسُ إِلَيْهِ وَٱبْتَدَأَ يَنْتَهِرُهُ قَائِلًا: حَاشَاكَ يَارَبُّ!** لَا يَكُونُ لَكَ هَذَا" (متى 16: 21 – 22).

لم يكن بطرس يريد أن يتحدث الرب يسوع عن الصليب، ناهيك عن الخوض في التفاصيل. وفي الوقت الذي كان يسوع فيه يُجلَد ويُضرَب، وقع بطرس في مأزق كونه أحد أتباعه، لكنه أنكر ذلك.

"ثُمَّ إِذْ خَرَجَ إِلَى ٱلدِّهْلِيزِ رَأَتْهُ أُخْرَى، فَقَالَتْ لِلَّذِينَ هُنَاكَ: وَهَذَا كَانَ مَعَ يَسُوعَ ٱلنَّاصِرِيِّ! فَأَنْكَرَ أَيْضًا بِقَسَمٍ: **إِنِّي لَسْتُ أَعْرِفُ ٱلرَّجُلَ**" (متى 26: 71 – 72).

إن قبول حقيقة عذاب المسيح ومعاناته يتضمن إخضاع النفس بالكامل للسير معه والدخول في شركة آلامه في الاهتمام بالآخرين. لقد أدرك الرسول بولس هذه الحقيقة عندما قال:

"بَلْ إِنِّي أَحْسِبُ كُلَّ شَيْءٍ أَيْضًا خَسَارَةً مِنْ أَجْلِ فَضْلِ مَعْرِفَةِ ٱلْمَسِيحِ يَسُوعَ رَبِّي، ٱلَّذِي مِنْ أَجْلِهِ خَسِرْتُ كُلَّ ٱلْأَشْيَاءِ، وَأَنَا أَحْسِبُهَا نُفَايَةً لِكَيْ أَرْبَحَ ٱلْمَسِيحَ، وَأُوجَدَ فِيهِ، وَلَيْسَ لِي بِرِّي ٱلَّذِي مِنَ ٱلنَّامُوسِ، بَلِ ٱلَّذِي بِإِيمَانِ ٱلْمَسِيحِ، ٱلْبِرُّ ٱلَّذِي مِنَ ٱللهِ بِٱلْإِيمَانِ. لِأَعْرِفَهُ، وَقُوَّةَ قِيَامَتِهِ، **وَشَرِكَةَ آلَامِهِ، مُتَشَبِّهًا بِمَوْتِهِ**" (فيلبي 3: 8 – 10).

فلكي تتمتع بحياة مستقلة بعيدًا عن هذه الآلام والمعاناة، عليك أن تتظاهر بأنها غير موجودة، وإذا لم تتمكن من التظاهر بأنها غير موجودة، فعليك أن تحاول تجاهلها. وإن كنت ترغب في الحصول على "حياة جميلة وممتعة" يتخللها الكثير من الإثارة والمتعة والحفلات، فعليك أن تنسى الصليب. إذا كنت ترغب في إقتناء الكثير من الممتلكات وتصبح ثريًا، فعليك أن تعمل بطريقة تجعلك تنسى الصليب، لأن الصليب يضع كل هذه الأشياء في منظور من العدم والبُطلان والتفاهة واللاشيء.

حاول الرب يسوع أن يهيئ تلاميذه التعساء لاختبارهم المؤلم من خلال مَثَل العذارى العشر.

"حِينَئِذٍ يُشْبِهُ مَلَكُوتُ ٱلسَّمَاوَاتِ عَشْرَ عَذَارَى، أَخَذْنَ مَصَابِيحَهُنَّ وَخَرَجْنَ لِلِقَاءِ ٱلْعَرِيسِ. وَكَانَ خَمْسٌ مِنْهُنَّ حَكِيمَاتٍ، وَخَمْسٌ جَاهِلَاتٍ. أَمَّا ٱلْجَاهِلَاتُ فَأَخَذْنَ مَصَابِيحَهُنَّ وَلَمْ يَأْخُذْنَ مَعَهُنَّ زَيْتًا، وَأَمَّا ٱلْحَكِيمَاتُ فَأَخَذْنَ زَيْتًا فِي آنِيَتِهِنَّ مَعَ مَصَابِيحِهِنَّ. **وَفِيمَا أَبْطَأَ ٱلْعَرِيسُ نَعَسْنَ جَمِيعُهُنَّ وَنِمْنَ**" (متى 25: 1 – 5).

احتفل يسوع وتلاميذه بعد ذلك بوقت قصير بعيد الفصح مساء الخميس، ثم ذهبوا إلى بستان جثسيماني للصلاة. كان الجو المحيط بالمسيح مثقلاً بالتعب، واستطاع التلاميذ أن يروا أنه كان مثقلاً بالهموم والأتعاب. فأخذ بطرس ويعقوب ويوحنا مع إلى مكان منعزل للصلاة.

"ثُمَّ أَخَذَ مَعَهُ بُطْرُسَ وَٱبْنَيْ زَبْدِي، وَٱبْتَدَأَ يَحْزَنُ وَيَكْتَئِبُ. فَقَالَ لَهُمْ: نَفْسِي حَزِينَةٌ جِدًّا حَتَّى ٱلْمَوْتِ. اُمْكُثُوا هَهُنَا وَٱسْهَرُوا مَعِي. ثُمَّ تَقَدَّمَ قَلِيلًا وَخَرَّ عَلَى وَجْهِهِ، وَكَانَ يُصَلِّي قَائِلًا: يَا أَبَتَاهُ، إِنْ أَمْكَنَ فَلْتَعْبُرْ عَنِّي هَذِهِ ٱلْكَأْسُ، وَلَكِنْ لَيْسَ كَمَا أُرِيدُ أَنَا بَلْ كَمَا تُرِيدُ أَنْتَ" (متى 26: 37 – 39).

على الرغم من إدراك التلاميذ ورؤيتهم لحزن يسوع الشديد، إلا أنهم ناموا نومًا عميقًا! وبعد أن صلّى يسوع بعذاب لفترة من الوقت، جاء إلى تلاميذه النائمين وألقى عليهم الكلمات التالية ليوقظهم:

"ثُمَّ جَاءَ إِلَى ٱلتَّلَامِيذِ فَوَجَدَهُمْ نِيَامًا، فَقَالَ لِبُطْرُسَ: أَهَكَذَا مَا قَدَرْتُمْ أَنْ تَسْهَرُوا مَعِي سَاعَةً وَاحِدَةً؟ اِسْهَرُوا وَصَلُّوا لِئَلَّا تَدْخُلُوا فِي تَجْرِبَةٍ. أَمَّا ٱلرُّوحُ فَنَشِيطٌ وَأَمَّا ٱلْجَسَدُ فَضَعِيفٌ" (متى 26: 40 و41).

كان بطرس الواثق من نفسه قد أشار في وقت سابق إلى أنه مستعد للموت من أجل المسيح، إلا أنه نام في الوقت الذي كان الرب يسوع يموت فيه بسبب الحزن والضيق الشديد الذي كان يعتريه. لماذا يتصرَّف هكذا؟

إن الطبيعة البشرية تتجاهل آلام المسيح وعذابه حفاظًا على طموحاتها الأنانية. فإذا انتبهنا لآلام المسيح وشعرنا به ولم ننام، فسوف نسهر معه وسوف نتخلى عن مطامحنا وتطلعاتنا ورغباتنا في الأشياء التي في هذا العالم.

ونحن في كل يوم مدعوون للتأمل في تضحية الرب يسوع لتجتذبنا وتنتشلنا من طبائعنا الأنانية. كانت هناك ذبيحة صباحية ومسائية في خدمات العهد القديم. كانت الذبيحة الصباحية تقدم حوالي الساعة التاسعة صباحًا، والذبيحة المسائية كانت تقدم حوالي الساعة الثالثة مساءً. تتيح لنا هذه الأوقات الفرصة للتفكير في آلام المسيح ومعاناته، والصلاة من أجل نيل النعمة والشجاعة كي نتوقف عن التحدث والقيام بالأشياء التي تصلبه وتجعله يتألم.

سنتطرق إلى موضوع الذبائح بعد فترة قصيرة، ولكننا سنرى أولاً أن أتباع المسيح كانوا يواظبون على الاجتماع معًا والصلاة في أوقات معينة كل يوم، وقد بدأوا أيضًا يفهمون ما يقصده دانيال النبي عندما قال أن الذبيحة والتقدمة ستُبطّلُ.

"وَصَعِدَ بُطْرُسُ وَيُوحَنَّا مَعًا إِلَى ٱلْهَيْكَلِ فِي سَاعَةِ ٱلصَّلَاةِ ٱلتَّاسِعَةِ" (أعمال 3: 1).

كانت ساعة الصلاة هي وقت الذبيحة المسائية، لكن الرسل ذهبوا ببساطة للصلاة والتأمل في آلام المسيح والصلاة من أجل النعمة للعيش لأجله فقط.

إذا كنت من أتباع يسوع المسيح، فأنا أدعوك أن تتوقف مرتين في اليوم وتكرّس بعض الوقت لتفكر في تضحية الرب العظيمة والآلام الرهيبة التي يختبرها أبانا ومخلصنا في تحمُّل عذاب جميع أبنائه ومعاناتهم في جميع أنحاء العالم. والسؤال الذي يطرحه الرب يسوع علينا اليوم: "أتقدرون أن تسهروا معي ساعة واحدة؟"

الفصل الخامس

بِذَبِيحَةٍ وَتَقْدِمَةٍ لَمْ تُسَرَّ

أحد الأسباب الرئيسية لفقدان الشعور بآلام الصليب الحقيقية هو تأسيس نظام تقديم الذبائح في العهد القديم.

"كَلِّمَا كُلَّ جَمَاعَةِ إِسْرَائِيلَ قَائِلَيْنِ: فِي ٱلْعَاشِرِ مِنْ هَذَا ٱلشَّهْرِ **يَأْخُذُونَ لَهُمْ كُلُّ وَاحِدٍ شَاةً** بِحَسَبِ بُيُوتِ ٱلْآبَاءِ، شَاةً لِلْبَيْتِ. وَإِنْ كَانَ ٱلْبَيْتُ صَغِيرًا عَنْ أَنْ يَكُونَ كُفْوًا لِشَاةٍ، يَأْخُذُ هُوَ وَجَارُهُ ٱلْقَرِيبُ مِنْ بَيْتِهِ بِحَسَبِ عَدَدِ ٱلنُّفُوسِ.كُلُّ وَاحِدٍ عَلَى حَسَبِ أُكْلِهِ تَحْسُبُونَ لِلشَّاةِ. تَكُونُ لَكُمْ شَاةً صَحِيحَةً ذَكَرًا ٱبْنَ سَنَةٍ، تَأْخُذُونَهُ مِنَ ٱلْخِرْفَانِ أَوْ مِنَ ٱلْمَوَاعِزِ. وَيَكُونُ عِنْدَكُمْ تَحْتَ ٱلْحِفْظِ إِلَى ٱلْيَوْمِ ٱلرَّابِعَ عَشَرَ مِنْ هَذَا ٱلشَّهْرِ. **ثُمَّ يَذْبَحُهُ كُلُّ جُمْهُورِ جَمَاعَةِ إِسْرَائِيلَ فِي ٱلْعَشِيَّةِ.** وَيَأْخُذُونَ مِنَ ٱلدَّمِ وَيَجْعَلُونَهُ عَلَى ٱلْقَائِمَتَيْنِ وَٱلْعَتَبَةِ ٱلْعُلْيَا فِي ٱلْبُيُوتِ ٱلَّتِي يَأْكُلُونَهُ فِيهَا" (خروج 12: 3 – 7).

"مَذْبَحًا مِنْ تُرَابٍ تَصْنَعُ لِي **وَتَذْبَحُ عَلَيْهِ مُحْرَقَاتِكَ وَذَبَائِحَ سَلَامَتِكَ**، غَنَمَكَ وَبَقَرَكَ. فِي كُلِّ ٱلْأَمَاكِنِ ٱلَّتِي فِيهَا أَصْنَعُ لِٱسْمِي ذِكْرًا آتِي إِلَيْكَ **وَأُبَارِكُكَ**" (خروج 20: 24).

إن الإنطباع الذي يتكوَّن لدينا عندما نقرأ هذه الآيات هو أن الله يريد من الناس أن يقتلوا الحيوانات ويقدموها كذبيحة له، وأنه عندما يفعلون ذلك سيباركهم. عندما قدَّم يوحنا المعمدان المسيا إلى العالم، فقد قدّمه بصفته حمل الله.

"وَفِي ٱلْغَدِ نَظَرَ يُوحَنَّا يَسُوعَ مُقْبِلًا إِلَيْهِ، فَقَالَ: **هُوَذَا حَمَلُ ٱللهِ** ٱلَّذِي يَرْفَعُ خَطِيَّةَ ٱلْعَالَمِ!" (يوحنا 1: 29).

إذا كان يسوع هو حمل الله الذي ذُبِح، فإن الاستنتاج المنطقي الذي يستخلصه الكثير من الناس هو أن الله أراد موت ابنه لكي يدفع ثمن خطايانا. وفي هذا النموذج، فإن البشر لا يقتلون ابن الله، بل يفعلون ما يريده الله.

"**أَمَّا ٱلرَّبُّ فَسُرَّ بِأَنْ يَسْحَقَهُ بِٱلْحَزَنِ. إِنْ جَعَلَ نَفْسَهُ ذَبِيحَةَ إِثْمٍ** يَرَى نَسْلًا تَطُولُ أَيَّامُهُ، وَمَسَرَّةُ ٱلرَّبِّ بِيَدِهِ تَنْجَحُ" (إشعياء 53: 10).

إذا كان يُسرُّ الرب بأن يسحق ابنه على الصليب كذبيحة، فإن الانطباع الذي يتكوَّن لدى الكثيرين هو أن الله يحتاج إلى هذه الذبيحة لتهدئة وإشباع غضبه ضد خطايانا. والمنطق أو الحجة هو أن عدالة الله ينبغي أن تُشبع وتُرضى. ولكي يُظهِر الرب يسوع مدى سوء خطايانا، كان عليه أن يأخذ مكاننا في الموت لإيفاء عدالة الآب. توضح ترنيمة مسيحية مشهورة هذه الفكرة على النحو التالي:

في المسيح وحده من أخذ جسد ملء اللاهوت في طفل وُلِدْ

هدية الحُبّ والصلاح أحتقره محتاجو الخلاص

وعلى الصليب يسوع قضى وغضب الله قد هدا

كل الخطايا وضعت عليه موت المسيح أعطاني حياة

وهذه الفكرة عن الصليب تقلب الأمور وتحرّفها تحريفًا كاملاً. فهي تقدم الله باعتباره الشخص الذي يطلب الموت، وهذا يخفي عنا حقيقة طبيعتنا البشرية كما استعرضنا في الفصل الثاني. فلو كان الله يطلب موت ابنه بسبب خطايانا، لأصبحت كراهيتنا الطبيعية تجاهه مستترة ومُتَحَجِّبة. فيمكننا، أولاً، أن نقول ببساطة أن أولئك اليهود والرومان هم من قتلوه. وثانيًا، يمكن القول إنهم كانوا ببساطة يفعلون ما أراده الله لإتمام الذبيحة. وهذا هو ما من شأنه أن ينتج أفكارًا مثل ما يلي:

> وفقًا للخبراء الذين قاموا بترميم هذه المخطوطة وترجمتها وتوثيقها، فإن ما يسمى بإنجيل يهوذا المفقود يزعم **أن يسوع طلب من صديقه المقرب يهوذا الإسخريوطي تسليمه إلى الرومان لأنه أراد الهروب من سجن جسده الأرضي.** وهذه المخطوطة تتكوَّن من 26 صفحة و13 فرخًا من ورق البردي، وتصور يهوذا كبطل مسيحي وليس خصمًا أو شريرًا، والكتابة عليها من الجهتين.
>
> أزيح النقاب عن هذه المخطوطة أمس في واشنطن في مؤتمر صحفي عقدته الجمعية الجغرافية الوطنية الأمريكية، والذي كان جزءًا من جهد دولي للحفاظ على النسخة الوحيدة المتبقية. تعرَّضت هذه المخطوطة للتآكل والضرر الشديد أثناء رحلتها الغريبة من الإناء الذي كانت محفوظة فيه في أحد الكهوف المصرية إلى أن وصلت إلى خزينة أحد البنوك في هيكسفيل بولاية نيويورك.

وقال كريج إيفانز، أستاذ دراسات العهد الجديد بكلية اللاهوت في مقاطعة نوفا سكوشا الكندية والذي ساعد في تفسير المخطوطة: "**إنجيل يهوذا يحوّل فعل خيانة يهوذا إلى فعل طاعة**". [4]

بالنسبة لمن يؤمنون منا بأن الكتاب المقدس هو كلمة الله، فإن هذه الفكرة بعيدة كل البعد عن الحقيقة. إلا أن الأسئلة لا تزال قائمة. هل طلب الله تقديم هذه الذبائح؟ وهل يتطلب عدله هذا؟

"**بِذَبِيحَةٍ وَتَقْدِمَةٍ لَمْ تُسَرَّ.** أُذُنَيَّ فَتَحْتَ. مُحْرَقَةً وَذَبِيحَةَ خَطِيَّةٍ لَمْ تَطْلُبْ" (مزمور 40: 6).

يعلن الكتاب المقدس بوضوح أن الله لا يريد ذبائح ولا يُسرُّ بها. كما ينص بوضوح على أنه لم يطلب المحرقات أو ذبائح الخطية. ونقرأ أيضًا إضافة إلى ذلك:

"**لِأَنِّي لَمْ أُكَلِّمْ آبَاءَكُمْ وَلَا أَوْصَيْتُهُمْ يَوْمَ أَخْرَجْتُهُمْ مِنْ أَرْضِ مِصْرَ مِنْ جِهَةِ مُحْرَقَةٍ وَذَبِيحَةٍ.** بَلْ إِنَّمَا أَوْصَيْتُهُمْ بِهَذَا ٱلْأَمْرِ قَائِلًا: ٱسْمَعُوا صَوْتِي فَأَكُونَ لَكُمْ إِلَهًا، وَأَنْتُمْ تَكُونُونَ لِي شَعْبًا، وَسِيرُوا فِي كُلِّ ٱلطَّرِيقِ ٱلَّذِي أُوصِيكُمْ بِهِ لِيُحْسَنَ إِلَيْكُمْ" (إرميا 7: 22 و23).

كيف يمكن لله أن يقول أنه لم يأمر بني إسرائيل بتقديم محرقات وذبائح على الرغم من أمره الواضح لهم بذبح خروف الفصح وتأسيس نظام تقديم الذبائح؟ هل يناقض الكتاب المقدس نفسه هنا؟

"غَدًا فِي مِثْلِ ٱلْآنَ أُرْسِلُ إِلَيْكَ رَجُلًا مِنْ أَرْضِ بَنْيَامِينَ، فَٱمْسَحْهُ رَئِيسًا لِشَعْبِي إِسْرَائِيلَ، فَيُخَلِّصَ شَعْبِي مِنْ يَدِ ٱلْفِلِسْطِينِيِّينَ، لِأَنِّي نَظَرْتُ إِلَى شَعْبِي لِأَنَّ صُرَاخَهُمْ قَدْ جَاءَ إِلَيَّ. **فَلَمَّا رَأَى صَمُوئِيلُ شَاوُلَ أَجَابَهُ ٱلرَّبُّ: هُوَذَا ٱلرَّجُلُ ٱلَّذِي كَلَّمْتُكَ عَنْهُ. هَذَا يَضْبِطُ شَعْبِي**" (صموئيل الأول 9: 16 و17).

في هذه القصة يأمر الله نبيه صموئيل أن يمسح رجلاً ملكًا على شعب إسرائيل. ويبدو في السياق الفوري لهذه القصة أن الله هو الذي يأمر بهذه الأشياء. أما السياق الأوسع أو المغزى الحقيقي منها هو أن بني إسرائيل كانوا يريدون ملكًا فأعطاهم الله طلبتهم.

"**فَسَاءَ ٱلْأَمْرُ فِي عَيْنَيْ صَمُوئِيلَ إِذْ قَالُوا: «أَعْطِنَا مَلِكًا يَقْضِي لَنَا».** وَصَلَّى صَمُوئِيلُ إِلَى ٱلرَّبِّ. **فَقَالَ ٱلرَّبُّ لِصَمُوئِيلَ: ٱسْمَعْ لِصَوْتِ ٱلشَّعْبِ فِي كُلِّ مَا يَقُولُونَ لَكَ، لِأَنَّهُمْ لَمْ يَرْفُضُوكَ أَنْتَ بَلْ إِيَّايَ رَفَضُوا حَتَّى لَا أَمْلِكَ عَلَيْهِمْ.**

[4] Anne McIlroy, Was Judas a True Christian Hero? The Globe and Mail April 7, 2006

حَسَبَ كُلِّ أَعْمَالِهِمِ ٱلَّتِي عَمِلُوا مِنْ يَوْمِ أَصْعَدْتُهُمْ مِنْ مِصْرَ إِلَى هَذَا ٱلْيَوْمِ وَتَرَكُونِي وَعَبَدُوا آلِهَةً أُخْرَى، هَكَذَا هُمْ عَامِلُونَ بِكَ أَيْضًا" (صموئيل الأول 8: 6 – 8).

يؤكد الكتاب المقدس أن الله لم يكن يريد أن يعطي إسرائيل ملكًا، لكنه سمح لهم بذلك.

"هَلاَكُكَ يَا إِسْرَائِيلُ أَنَّكَ عَلَيَّ، عَلَى عَوْنِكَ. فَأَيْنَ هُوَ مَلِكُكَ حَتَّى يُخَلِّصَكَ فِي جَمِيعِ مُدُنِكَ؟ وَقُضَاتُكَ حَيْثُ قُلْتَ: أَعْطِنِي مَلِكًا وَرُؤَسَاءَ؟ **أَنَا أَعْطَيْتُكَ مَلِكًا بِغَضَبِي** وَأَخَذْتُهُ بِسَخَطِي" (هوشع 13: 9 – 11).

ما هو المعنى من قول الكتاب أن الله أعطى إسرائيل ملكًا بغضبه؟ إن غضب الله هو سماحه للإنسان أن يحصل أو يمتلك الأشياء الخاطئة التي يرغب فيها. (للحصول على دراسة موسعة حول هذا الموضوع، راجع الفصل 13 من كتاب "أعمال إلهنا الرؤوف" المتاح على موقع fatheroflove.info). يوضح الكتاب المقدس في عدة أماكن أن الله يأمر بحدوث الأشياء التي يرغب البشر فيها. فيما يلي مثالٌ آخرٌ على ذلك:

"ثُمَّ كَلَّمَ ٱلرَّبُّ مُوسَى قَائِلًا: أَرْسِلْ رِجَالًا لِيَتَجَسَّسُوا أَرْضَ كَنْعَانَ ٱلَّتِي أَنَا مُعْطِيهَا لِبَنِي إِسْرَائِيلَ. رَجُلًا وَاحِدًا لِكُلِّ سِبْطٍ مِنْ آبَائِهِ تُرْسِلُونَ. كُلُّ وَاحِدٍ رَئِيسٌ فِيهِمْ" (سفر العدد 13: 1 و2).

عند قراءة هذا النص في سياقه الفوري، سنجد أن الله يريد من الشعب أن يتجسَّسوا أرض كنعان. ولكن عندما نقرأه في سياقه الأوسع سنرى شيئًا مختلفًا.

"فَتَقَدَّمْتُمْ إِلَيَّ جَمِيعُكُمْ وَقُلْتُمْ: دَعْنَا نُرْسِلْ رِجَالًا قُدَّامَنَا لِيَتَجَسَّسُوا لَنَا ٱلْأَرْضَ، وَيَرُدُّوا إِلَيْنَا خَبَرًا عَنِ ٱلطَّرِيقِ ٱلَّتِي نَصْعَدُ فِيهَا وَٱلْمُدُنِ ٱلَّتِي نَأْتِي إِلَيْهَا" (تثنية 1: 22).

إسرائيل هي من أرادت التجسس على أرض كنعان، فأمرهم الله أن يفعلوا ما يريدون. ولكن لماذا يفعل الله ذلك؟

"وَأَمَّا ٱلنَّامُوسُ فَدَخَلَ لِكَيْ تَكْثُرَ ٱلْخَطِيَّةُ. وَلَكِنْ حَيْثُ كَثُرَتِ ٱلْخَطِيَّةُ ٱزْدَادَتِ ٱلنِّعْمَةُ جِدًّا" (رومية 5: 20).

عندما يكون لدى إنسان خطية في قلبه، فإن أول عمل يقوم به الله هو إظهار تلك الخطية له. فقلب الإنسان لديه القدرة على خداع نفسه. فالإنسان أعمى عن خطاياه وآثامه. وعندما تكون أفعالنا خارج إرادة الله، فإنه سيأمر الأشياء التي نرغبها أن تنمو وتكبر لكي نتعرَّف على سبب

كونها خطية. لكنه لا يفعل هذه الأشياء دون أن يُتيح للشخص الفرصة لمعرفة أن هذه الأشياء خاطئة. والبشر يفسّرون هذه الأوامر على أنها تعني أن الله يريدها، ذلك لأن البشر لا يرون شرورهم وخطاياهم. كما إنهم يختارون تصديق ذلك، إذ أن هذا يجعل الله يبدو مثلهم وهذا يبرر شرورهم وخطاياهم.

لقد اكتشفنا في الفصل الثاني أن بذور الموت كانت توجد في قلب آدم، الذي إتهم ابن الله بمسؤوليته عن الأفعال التي كان يظن أنها تسببت في حكم الله عليه بالموت، وكان يخشى أن يقوم الله بتنفيذ هذه العقوبة ضده. فألقى آدم باللوم على زوجته هربًا من الموت، وكان على استعداد أن يدعها تموت مكانه. اعتقد آدم أن عدل الله يتطلب الموت، وأن اللوم يجب أن يُلقى على شخصٍ آخرٍ، وأن شخصًا آخر يمكنه دفع الدين الذي كان يظن أن الله يطلبه. حينئذ أمر الله بتأسيس نظام الذبائح حتى يتسنى لآدم أن يرى ما في قلبه. ونظام الذبيحة هو انعكاس لفكر الإنسان وليس فكر الله، وهذا النظام هو مرآة لما في ذهن الإنسان. وهكذا يمكننا أن نفهم النصوص الكتابية المختلفة التي تتحدث عن الذبائح من خلال هذا السياق، ونرى أن هناك انسجام وتوافق بينها.

> "فَقَالَ صَمُوئِيلُ: هَلْ مَسَرَّةُ ٱلرَّبِّ بِٱلْمُحْرَقَاتِ وَٱلذَّبَائِحِ كَمَا بِٱسْتِمَاعِ صَوْتِ ٱلرَّبِّ؟ هُوَذَا ٱلاِسْتِمَاعُ أَفْضَلُ مِنَ ٱلذَّبِيحَةِ، وَٱلإِصْغَاءُ أَفْضَلُ مِنْ شَحْمِ ٱلْكِبَاشِ" (صموئيل الأول 15: 22).

الله ببساطة يريد منا أن نثق به ونطيعه من خلال الثقة بنعمته. وهو لم يطلب ذبائح من البشر، وإنما كان مضطرًا أن يأمر بما كان في قلب الإنسان ليريه شره وخطيته. ولكن لماذا أعطى الله كل هذه التعليمات والتفاصيل الكثيرة بشأن نظام تقديم الذبائح؟

> "وَأَنْتُمْ تَكُونُونَ لِي مَمْلَكَةَ كَهَنَةٍ وَأُمَّةً مُقَدَّسَةً. هَذِهِ هِيَ ٱلْكَلِمَاتُ ٱلَّتِي تُكَلِّمُ بِهَا بَنِي إِسْرَائِيلَ فَجَاءَ مُوسَى وَدَعَا شُيُوخَ ٱلشَّعْبِ وَوَضَعَ قُدَّامَهُمْ كُلَّ هَذِهِ ٱلْكَلِمَاتِ ٱلَّتِي أَوْصَاهُ بِهَا ٱلرَّبُّ. **فَأَجَابَ جَمِيعُ ٱلشَّعْبِ مَعًا وَقَالُوا: «كُلُّ مَا تَكَلَّمَ بِهِ ٱلرَّبُّ نَفْعَلُ»**. فَرَدَّ مُوسَى كَلاَمَ ٱلشَّعْبِ إِلَى ٱلرَّبِّ" (خروج 19: 6 – 8).

عندما جاء الربُّ إلى إسرائيل، أرادهم جميعًا أن يكونوا كهنة وأن يثقوا بنعمته ليمنحهم كل مواعيد العهد. ولكن في المقابل أخبر الشعب الله أنهم سيفعلون الأشياء التي وعدهم بأنه سيفعلها بدلاً منه، وبالتالي فهم بإخبارهم الله بهذا، كانوا في الواقع يتمردون عليه.

> "لِأَنِّي لَمْ أُكَلِّمْ آبَاءَكُمْ وَلَا أَوْصَيْتُهُمْ يَوْمَ أَخْرَجْتُهُمْ مِنْ أَرْضِ مِصْرَ مِنْ جِهَةِ مُحْرَقَةٍ وَذَبِيحَةٍ. بَلْ إِنَّمَا أَوْصَيْتُهُمْ بِهَذَا ٱلأَمْرِ قَائِلًا: ٱسْمَعُوا صَوْتِي فَأَكُونَ لَكُمْ

إِلَهًا، وَأَنْتُمْ تَكُونُونَ لِي شَعْبًا، وَسِيرُوا فِي كُلِّ ٱلطَّرِيقِ ٱلَّذِي أُوصِيكُمْ بِهِ لِيُحْسَنَ إِلَيْكُمْ. **فَلَمْ يَسْمَعُوا وَلَمْ يُمِيلُوا أُذْنَهُمْ، بَلْ سَارُوا فِي مَشُورَاتِ وَعِنَادِ قَلْبِهِمِ ٱلشِّرِّيرِ، وَأَعْطَوْا ٱلْقَفَا لَا ٱلْوَجْهَ. فَمِنَ ٱلْيَوْمِ ٱلَّذِي خَرَجَ فِيهِ آبَاؤُكُمْ مِنْ أَرْضِ مِصْرَ إِلَى هَذَا ٱلْيَوْمِ**، أَرْسَلْتُ إِلَيْكُمْ كُلَّ عَبِيدِي ٱلْأَنْبِيَاءِ، مُبَكِّرًا كُلَّ يَوْمٍ وَمُرْسِلًا. فَلَمْ يَسْمَعُوا لِي وَلَمْ يُمِيلُوا أُذْنَهُمْ، بَلْ صَلَّبُوا رِقَابَهُمْ. أَسَاءُوا أَكْثَرَ مِنْ آبَائِهِمْ" (إرميا 7: 22 – 26).

تخبرنا كلمة الله أنهم منذ يوم خروجهم من أرض مصر تمردوا على ما أراده لهم. وفي الليلة التي أكلوا فيها خروف الفصح، كشفوا عن رفضهم للمسيح لأنهم كانوا يرفضوه. والأحداث التي وقعت بعد مرور حوالي 1500 سنة والمختصة برفضهم للمسيح، لم تكن إلا تكرارًا لما فعله شعب إسرائيل في ليلة الفصح تلك. لقد ساروا وراء مشورات قلبهم الشريرة، وكان الله يريهم ماذا كانوا يفعلون من خلال التعليمات المعطاة لهم بخصوص خروف الفصح. وهذا كان إعلانًا لشرهم وخطاياهم، بل أن ذبح خروف الفصح كان بمثابة إعلانًا عن رفضهم لنعمة الله ودعوته الرحيمة لهم منذ مجيء موسى إليهم قبل ذلك في مصر.

"لِذَلِكَ قُلْ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ: أَنَا ٱلرَّبُّ. وَأَنَا أُخْرِجُكُمْ مِنْ تَحْتِ أَثْقَالِ ٱلْمِصْرِيِّينَ وَأُنْقِذُكُمْ مِنْ عُبُودِيَّتِهِمْ وَأُخَلِّصُكُمْ بِذِرَاعٍ مَمْدُودَةٍ وَبِأَحْكَامٍ عَظِيمَةٍ، وَأَتَّخِذُكُمْ لِي شَعْبًا، وَأَكُونُ لَكُمْ إِلَهًا. فَتَعْلَمُونَ أَنِّي أَنَا ٱلرَّبُّ إِلَهُكُمُ ٱلَّذِي يُخْرِجُكُمْ مِنْ تَحْتِ أَثْقَالِ ٱلْمِصْرِيِّينَ. وَأُدْخِلُكُمْ إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلَّتِي رَفَعْتُ يَدِي أَنْ أُعْطِيَهَا لِإِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ. وَأُعْطِيَكُمْ إِيَّاهَا مِيرَاثًا. أَنَا ٱلرَّبُّ. **فَكَلَّمَ مُوسَى هَكَذَا بَنِي إِسْرَائِيلَ، وَلَكِنْ لَمْ يَسْمَعُوا لِمُوسَى مِنْ صِغَرِ ٱلنَّفْسِ، وَمِنَ ٱلْعُبُودِيَّةِ ٱلْقَاسِيَةِ"** (خروج 6: 6 – 9).

ألقى بنو إسرائيل اللوم على الله بسبب الظلم والعبودية التي تعرَّضوا إليها وهم في مصر، لكنهم لم يتوبوا عن شِركهم وارتدادهم وابتعادهم عن الرب. لماذا يرفضون هذا العرض المُحِب والكريم المتعلق بحصولهم على أرض الموعد، ما لم يكن في قلوبهم غضبًا وملامةً تجاه الله على الوضع الذي كانوا فيه؟ وكانت هذه هي بذور خروف الفصح. فإذا جاء إليهم المسيح في ذلك الحين، لقتلوه أيضًا كما قتلوه بعد ذلك بـ 1500 سنة.

وعلى الرغم من كل هذا، فقد استطاع الله أن يؤكد لهم أنه سيحميهم ويحافظ عليهم إذا آمنوا بدم الحمل المذبوح المرشوش على عتبة الباب. واستطاع أن يعرّفهم على رحمته ومحبته من خلال أفكارهم الخاطئة عن العدالة والكفارة. بدأ يعلمهم عن رحمته ونعمته.

وفي غضون أسابيع منذ الوقت الذي أُعطي فيه الناموس في سيناء، كسروا ميثاق (عهد) الطاعة بالرقص حول العجل الذهبي. فغضب موسى وكسر اللوحين اللذين نحتهما الله وكتب عليهما ناموس الوصايا العشر.

"ثُمَّ قَالَ ٱلرَّبُّ لِمُوسَى: **ٱنْحَتْ لَكَ لَوْحَيْنِ مِنْ حَجَرٍ مِثْلَ ٱلْأَوَّلَيْنِ، فَأَكْتُبَ أَنَا عَلَى ٱللَّوْحَيْنِ** ٱلْكَلِمَاتِ ٱلَّتِي كَانَتْ عَلَى ٱللَّوْحَيْنِ ٱلْأَوَّلَيْنِ ٱللَّذَيْنِ كَسَرْتَهُمَا" (خروج 34: 1).

اللوحان الجديدان صُنِعا بيد إنسانٍ وقام الله بالكتابة عليهما، وهما عبارة عن مزيج من عمل الله وعمل الإنسان. رفض الشعب عرض الله الكريم أن يمنحهم كل شيء بدون مقابل، لأنهم أرادوا إظهار تقواهم وصلاحهم وبرهم. ولذلك فقد أمر الله أن تحدث الأشياء التي كانت في قلوبهم لكي تكثُر الخطية. لقد كانت قلوبهم ممتلئة بالذبائح والتقدمات. أليس هذا هو ما فعلوه حول العجل الذهبي؟ لذلك أعطاهم الله وصايا وفرائض ليبين لهم مدى عقلهم الجسداني.

"وَأَعْطَيْتُهُمْ أَيْضًا فَرَائِضَ غَيْرَ صَالِحَةٍ، وَأَحْكَامًا لَا يَحْيَوْنَ بِهَا" (حزقيال 20: 25).

كيف يمكن لله أن يعطي شعبه أشياءً لا يستطيعون أن يحيوا أو يعيشوا بها؟ لقد أعطاهم الله الأشياء التي كانوا يريدونها. إلى أي مدى سيذهب العقل البشري لمحاولة إرضاء الله بالذبائح والتقدمات؟

"ثُمَّ إِنَّ ٱلْمَلِكَ وَكُلَّ ٱلشَّعْبِ ذَبَحُوا ذَبَائِحَ أَمَامَ ٱلرَّبِّ. **وَذَبَحَ ٱلْمَلِكُ سُلَيْمَانُ ذَبَائِحَ مِنَ ٱلْبَقَرِ ٱثْنَيْنِ وَعِشْرِينَ أَلْفًا، وَمِنَ ٱلْغَنَمِ مِئَةً وَعِشْرِينَ أَلْفًا،** وَدَشَّنَ ٱلْمَلِكُ وَكُلُّ ٱلشَّعْبِ بَيْتَ ٱللهِ" (أخبار الأيام الثاني 7: 4 و5).

متى طلب الله كل هذه الأشياء؟ يقول الكتاب المقدس أن الله لم يُرد (يُسرُّ) ذبيحة أو تقدمة. في البداية ولكي يري آدم ما كان في قلبه، أمره أن يقدم حَملاً مرة واحدة في السنة على الأكثر.

"وَحَدَثَ مِنْ بَعْدِ أَيَّامٍ أَنَّ قَايِينَ قَدَّمَ مِنْ أَثْمَارِ ٱلْأَرْضِ قُرْبَانًا لِلرَّبِّ، وَقَدَّمَ هَابِيلُ أَيْضًا مِنْ أَبْكَارِ غَنَمِهِ وَمِنْ سِمَانِهَا. فَنَظَرَ ٱلرَّبُّ إِلَى هَابِيلَ وَقُرْبَانِهِ" (تكوين 4: 3 و4).

الترجمة الإنجليزية للآية السابقة تشير إلى أنه عند اقتراب وقت الحصاد أن قايين وهابيل سيقدمان قرابينهما وذبائحهما. والترجمة الحرفية لهذه الآية تقول:

"**ويحدث في نهاية الأيام أن** قايين يقدم من أثمار الأرض قربانًا ليهوه" (تكوين 4: 3).

القراءة الحرفية هي "في نهاية الأيام" أو "نهاية السنة" وهذا هو وقت الحصاد أو الوقت الذي يقع فيه الحصاد. لاحظ تعليق جون ويسلي على هذه الفقرة:

> "بمرور الزمن وفي نهاية الأيام، إما في نهاية السنة عندما كانا يحتفلان بعيد المظال، أو في نهاية أيام الأسبوع، في اليوم السابع، في وقت معين، جاء قايين وهابيل إلى آدم بصفته كاهن العائلة، وقدَّم كلاً منهما قربانًا إلى الرب، وهو ما يجعلنا نعتقد أنه كان هناك غرض أو قصد إلهي من ذلك، كرمز أو تعبيرٍ على أنهما قد وجدا نعمة في عيني الله رغم ارتدادهما وابتعادهما عن الله (تعليق جون ويسلي على الآية في تكوين 4: 3).

وقد تُرجِمت نفس الكلمة العبرية في أماكن أخرى على أنها تعني "في نهاية السنة".

"فَتَحْفَظُ هَذِهِ ٱلْفَرِيضَةَ فِي وَقْتِهَا **مِنْ سَنَةٍ إِلَى سَنَةٍ**" (خروج 13: 10).

"وَعَمِلَتْ لَهُ أُمُّهُ جُبَّةً صَغِيرَةً **وَأَصْعَدَتْهَا لَهُ مِنْ سَنَةٍ إِلَى سَنَةٍ** عِنْدَ صُعُودِهَا مَعَ رَجُلِهَا لِذَبْحِ ٱلذَّبِيحَةِ ٱلسَّنَوِيَّةِ" (صموئيل الأول 2: 19).

فماذا حدث؟ وما هو الذي أدى إلى حدوث هذا الفرق الشاسع من ذبيحة واحدة لكل عائلة إلى مئة وعشرين ألفًا من الغنم وإثنين وعشرين ألفًا من البقر؟ لقد كان البشر على استعداد للتضحية بأبنائهم لإرضاء الإله الذي كان من وحي خيالهم. فماذا يقول الكتاب المقدس؟

"**هَلْ يُسَرُّ ٱلرَّبُّ بِأُلُوفِ ٱلْكِبَاشِ، بِرِبَوَاتِ أَنْهَارِ زَيْتٍ؟ هَلْ أُعْطِي بِكْرِي عَنْ مَعْصِيَتِي، ثَمَرَةَ جَسَدِي عَنْ خَطِيَّةِ نَفْسِي؟** قَدْ أَخْبَرَكَ أَيُّهَا ٱلْإِنْسَانُ مَا هُوَ صَالِحٌ، وَمَاذَا يَطْلُبُهُ مِنْكَ ٱلرَّبُّ، إِلَّا أَنْ تَصْنَعَ ٱلْحَقَّ وَتُحِبَّ ٱلرَّحْمَةَ، وَتَسْلُكَ مُتَوَاضِعًا مَعَ إِلَهِكَ" (ميخا 6: 7 و8).

أراد الله أن يثق البشر به وأن ينالوا نعمة طاعته، ولم يكن يرغب أو يرد استرضائه بالذبائح. النص الذي يتبادر إلى الذهن استجابةً لذلك هو الآتي:

"وَكُلُّ شَيْءٍ تَقْرِيبًا يَتَطَهَّرُ حَسَبَ ٱلنَّامُوسِ بِٱلدَّمِ، وَبِدُونِ سَفْكِ دَمٍ لَا تَحْصُلُ مَغْفِرَةٌ!" (عبرانيين 9: 22).

لماذا يعلّم الناموس أنه بدون سفك الدم لا توجد مغفرة أو عفو أو حرية؟ لأن الناموس مرآة تعكس ما في قلب الإنسان.

"لِأَنَّهُ بِأَعْمَالِ ٱلنَّامُوسِ كُلُّ ذِي جَسَدٍ لَا يَتَبَرَّرُ أَمَامَهُ. **لِأَنَّ بِٱلنَّامُوسِ مَعْرِفَةَ ٱلْخَطِيَّةِ**" (رومية 3: 20).

لا يتبرر الناس بالأعمال المتعلقة بتقديم ذبائح الناموس، بل من خلال رؤية واستيعاب أن تقديم الذبائح هو ما في طبيعتنا ثم التوبة عن هذه الخطية. فعمل الناموس هو أن يُظهِر لنا عمق الخطية التي توجد بداخلنا كي نتوب عنها ونتركها. والله ليس هو من يطالب بأنه "بدون سفك الدم" لا يمكن أن تكون هناك مغفرة، بل الإنسان هو الذي يؤمن بذلك ولا يستطيع أن يصدق أن الله سيغفر له ما لم يقدم ذبيحة. مَنْ لهم آذانًا للسمع، فليسمعوا ويفهموا.

ولذلك فالناموس المختص بتقديم الذبائح يساعدنا على معرفة ما بقلب الإنسان الخاطئ. ولنذكر ما يقوله الكتاب:

"لِأَنِّي لَمْ أُكَلِّمْ آبَاءَكُمْ وَلَا أَوْصَيْتُهُمْ يَوْمَ أَخْرَجْتُهُمْ مِنْ أَرْضِ مِصْرَ مِنْ جِهَةِ مُحْرَقَةٍ وَذَبِيحَةٍ" (إرميا 7: 22).

الطريقة الوحيدة لجعل هذه الآية تتفق وتتناغم مع كل ما كُتِبَ في التوراة (أول خمسة أسفار من العهد القديم) هو أن التوراة هي مرآة لعقل الإنسان الذي يقوم على الاسترضاء، كما أنها تساعد الإنسان على رؤية هذه الخطية في نفسه.

وبالرغم من الطبيعة الفاسدة للإنسان الراغب في تقديم الذبائح أو قتل شيء ما لإرضاء الله، إلا أن الله قد استطاع في ظل هذا الفساد أن يعلّم الإنسان عن استعداده لأن يغفر له، وعن رغبته في تعريفه على المسيا الآتي الذي سيُظهِر شخصية الحَمَل وصفاته. إن استعلان هذه الصفات سوف يرد قلوب البشر إلى الله. لأن صفات الله المُعلَنة في المسيح هي التي ترد قلوب بني البشر إلى الله وتجعلهم واحدًا. لهذا قال المسيح في الليلة التي سبقت موته:

"وَهَذِهِ هِيَ ٱلْحَيَاةُ ٱلْأَبَدِيَّةُ: أَنْ يَعْرِفُوكَ أَنْتَ ٱلْإِلَهَ ٱلْحَقِيقِيَّ وَحْدَكَ وَيَسُوعَ ٱلْمَسِيحَ ٱلَّذِي أَرْسَلْتَهُ. أَنَا مَجَّدْتُكَ عَلَى ٱلْأَرْضِ. **ٱلْعَمَلَ ٱلَّذِي أَعْطَيْتَنِي لِأَعْمَلَ قَدْ أَكْمَلْتُهُ**" (يوحنا 17: 3-4).

لو كان المسيح قد أكمل العمل الذي أعطاه إياه أبيه ليقوم به في الليلة التي سبقت موته، فإن الله لم يكن بحاجة لأن يموت ابنه، بل كان يحتاج لأن يُظهِر صفاته الرحيمة المُحِبة. الإنسان هو من كان بحاجة لأن يموت المسيح، لأننا في حالتنا الطبيعية لا نقبل أن يكون هناك غفران بدون

عقاب. فلكي يتسنى لنا قبول غفران الله، كان على الجنس البشري أن يرى الرب يسوع يموت. ولهذا السبب صرخ الرب يسوع قبل موته قائلاً: "قد أُكمِل" (يوحنا 19: 30).

ما الذي أُكْمِلَ؟ لقد قام المسيح بالعمل الذي كان البشر بحاجة إلى رؤيته ليؤمنوا أن بإمكانهم نيل الصفح والغفران. ولهذا أمر الله بالذبائح، لأن البشر كانوا بحاجة لأن يروا ويؤمنوا أن شخصًا ما سيموت فداءً ونيابةً عنهم. لفهم الأهمية الحقيقية لهذا السؤال، عليك أن ترى صليب يسوع المسيح في نور مختلف تمامًا – نورٌ عظيمٌ في طهارته ونقائه، عظيمٌ في قيمته وثمنه، وعظيمٌ أيضًا في تحريره وإطلاقه. أصلي أن تأخذ قرارًا اليوم أن تدخل إلى هذا النور وتقبله.

الفصل السادس

لَنَا نَامُوسٌ

في إحدى لقاءاته مع رؤساء إسرائيل وشيوخهم، قال الرب يسوع:

"**أَنْتُمْ مِنْ أَبٍ هُوَ إِبْلِيسُ، وَشَهَوَاتِ أَبِيكُمْ تُرِيدُونَ أَنْ تَعْمَلُوا.** ذَاكَ كَانَ قَتَّالًا لِلنَّاسِ مِنَ ٱلْبَدْءِ، وَلَمْ يَثْبُتْ فِي ٱلْحَقِّ لِأَنَّهُ لَيْسَ فِيهِ حَقٌّ. مَتَى تَكَلَّمَ بِٱلْكَذِبِ فَإِنَّمَا يَتَكَلَّمُ مِمَّا لَهُ، لِأَنَّهُ كَذَّابٌ وَأَبُو ٱلْكَذَّابِ" (يوحنا 8: 44).

عندما تكلم قادة إسرائيل وشيوخهم مع الرب يسوع، تكلموا بكلمات الشيطان حيث أخبرهم الرب يسوع أنهم من أب هو الشيطان، وشهوات أبيهم، الشيطان، يريدون أن يعملوا. ولذلك فالكلمات التي أجاب بها اليهود كانت تعكس ما في فكر الشيطان، كما أنها كانت تعكس مفهوم العدالة الكامل عند البشر.

"أَجَابَهُ ٱلْيَهُودُ: **لَنَا نَامُوسٌ، وَحَسَبَ نَامُوسِنَا يَجِبُ أَنْ يَمُوتَ،** لِأَنَّهُ جَعَلَ نَفْسَهُ ٱبْنَ ٱللهِ" (يوحنا 19: 7).

"فَقَالَ لَهُمْ وَاحِدٌ مِنْهُمْ، وَهُوَ قَيَافَا، كَانَ رَئِيسًا لِلْكَهَنَةِ فِي تِلْكَ ٱلسَّنَةِ: أَنْتُمْ لَسْتُمْ تَعْرِفُونَ شَيْئًا، **وَلَا تُفَكِّرُونَ أَنَّهُ خَيْرٌ لَنَا أَنْ يَمُوتَ إِنْسَانٌ وَاحِدٌ عَنِ ٱلشَّعْبِ وَلَا تَهْلِكَ ٱلْأُمَّةُ كُلُّهَا!**" (يوحنا 11: 49-50).

لقد أدان قادة اليهود وشيوخهم الرب يسوع وحكموا عليه في أذهانهم. وكان الرب يسوع – بحسب قراءتهم للشريعة – يستوجب الموت. فذهب نيقوديموس لرفاقه من الرؤساء والشيوخ والتمسهم بخصوص هذه المسألة.

"**أَلَعَلَّ نَامُوسَنَا يَدِينُ إِنْسَانًا** لَمْ يَسْمَعْ مِنْهُ أَوَّلًا وَيَعْرِفْ مَاذَا فَعَلَ؟" (يوحنا 7: 51).

لقد كانوا بالفعل عازمين على قتل الرب يسوع قبل ذلك الوقت بكثير لولا سيطرة الرومان على بلادهم.

"فَقَالَ لَهُمْ بِيلَاطُسُ: خُذُوهُ أَنْتُمْ وَٱحْكُمُوا عَلَيْهِ حَسَبَ نَامُوسِكُمْ. فَقَالَ لَهُ ٱلْيَهُودُ: لَا يَجُوزُ لَنَا أَنْ نَقْتُلَ أَحَدًا" (يوحنا 18: 31).

كانت الطريقة التي فسَّر بها اليهود ناموس موسى تتمثل في إيقاع عقوبة الموت على أولئك الذين يخالفون الناموس. وقد نصَّت العديد من شرائع هذا الناموس وأحكامه على عقوبة الرجم. ولكن عندما فسَّر الرب يسوع ناموس موسى، فقد استخدم الناموس بشكل مختلف.

"وَقَدَّمَ إِلَيْهِ ٱلْكَتَبَةُ وَٱلْفَرِّيسِيُّونَ ٱمْرَأَةً أُمْسِكَتْ فِي زِنًا. وَلَمَّا أَقَامُوهَا فِي ٱلْوَسْطِ قَالُوا لَهُ: «يَا مُعَلِّمُ، هَذِهِ ٱلْمَرْأَةُ أُمْسِكَتْ وَهِيَ تَزْنِي فِي ذَاتِ ٱلْفِعْلِ، **وَمُوسَى فِي ٱلنَّامُوسِ أَوْصَانَا أَنَّ مِثْلَ هَذِهِ تُرْجَمُ. فَمَاذَا** تَقُولُ أَنْتَ؟» قَالُوا هَذَا لِيُجَرِّبُوهُ، لِكَيْ يَكُونَ لَهُمْ مَا يَشْتَكُونَ بِهِ عَلَيْهِ. وَأَمَّا يَسُوعُ فَٱنْحَنَى إِلَى أَسْفَلُ وَكَانَ يَكْتُبُ بِإِصْبِعِهِ عَلَى ٱلأَرْضِ. وَلَمَّا ٱسْتَمَرُّوا يَسْأَلُونَهُ، ٱنْتَصَبَ وَقَالَ لَهُمْ: **مَنْ كَانَ مِنْكُمْ بِلَا خَطِيَّةٍ فَلْيَرْمِهَا أَوَّلًا بِحَجَرٍ!** ثُمَّ ٱنْحَنَى أَيْضًا إِلَى أَسْفَلُ وَكَانَ يَكْتُبُ عَلَى ٱلأَرْضِ. وَأَمَّا هُمْ فَلَمَّا سَمِعُوا وَكَانَتْ ضَمَائِرُهُمْ تُبَكِّتُهُمْ، خَرَجُوا وَاحِدًا فَوَاحِدًا، مُبْتَدِئِينَ مِنَ ٱلشُّيُوخِ إِلَى ٱلآخِرِينَ. وَبَقِيَ يَسُوعُ وَحْدَهُ وَٱلْمَرْأَةُ وَاقِفَةٌ فِي ٱلْوَسْطِ. فَلَمَّا ٱنْتَصَبَ يَسُوعُ وَلَمْ يَنْظُرْ أَحَدًا سِوَى ٱلْمَرْأَةِ، قَالَ لَهَا: **يَا ٱمْرَأَةُ، أَيْنَ هُمْ أُولَئِكَ ٱلْمُشْتَكُونَ عَلَيْكِ؟** أَمَا دَانَكِ أَحَدٌ؟ فَقَالَتْ «لَا أَحَدَ، يَا سَيِّدُ!». فَقَالَ لَهَا يَسُوعُ: **وَلَا أَنَا أَدِينُكِ.** ٱذْهَبِي وَلَا تُخْطِئِي أَيْضًا" (يوحنا 8: 3 – 11).

أمسك الفريسيون هذا المرأة (والرجل أيضًا لغرض ما نتحدث عنه) في ذات الفعل أي وهي ترتكب خطية الزنا. وحسب فهمهم للناموس، فهذه المرأة يجب أن تُرجَم حتى الموت. انحنى الرب يسوع وابتدأ يكتب على الأرض بطريقة استطاع من خلالها أن يُبكّت ضمائرهم. وعندما أخبرهم أنهم كانوا بحاجة لأن يكونوا بلا خطية حتى يكون لديهم الحق الأخلاقي في رجمها، تبكتت ضمائرهم بسبب خطاياهم. ولكن عوضًا عن طلب المغفرة والعفو، أدانوا أنفسهم وخرجوا واحدًا فواحدًا من حضرته. أما المرأة فقد نالت غفرانًا مجانيًا من الرب يسوع، ودُعيت إلى عدم الرجوع للإثم والخطية مرة أخرى، وقد بعث هذا فيها شعورًا بالراحة والاطمئنان والامتنان لمخلصها. لقد استخدم الرب يسوع الناموس للحماية والخلاص، أما الفريسيون فقد استخدموه للقتل والعقاب.

وهنا يظهر الفرق بين مفهوم العدالة الإلهية والعدالة الشيطانية. يعتقد الكثير من الناس أن عدالة الله تتطلب الموت، ويعتقدون أن الرحمة والعدالة يتعارضان مع بعضهما البعض، وأنه عندما تنفد رحمة الله فإن ناموسه سيسحق المذنبين.

ولكن دعونا نتأمل فيما تقوله أسفار الوحي المقدسة.

"ٱلْعَدْلُ وَٱلْحَقُّ قَاعِدَةُ كُرْسِيِّكَ: ٱلرَّحْمَةُ وَٱلْأَمَانَةُ تَتَقَدَّمَانِ أَمَامَ وَجْهِكَ" (مزمور 89: 14).

لاحظ النقطتين الرأسيتين بعد كلمة "كُرْسِيِّكَ". تستخدم النقطتان الرأسيتان لإعلام القارئ بأن ما سيأتي سيثبت ويوضح ما سبق ذكره، وتوضع أيضًا بعد القول، ولتبيين الشيء وأنواعه، وقبل الكلام الذي يعرض لتوضيح ما قبله. وهذا يعني أن الرحمة التي ذُكِرت في المقطع الثاني من الآية بعد النقطتين الرأسيتين، توضّح وتفسّر عدل الله الذي ذُكِر في الجزء الأول منها. فالعدل هو فعل الشيء الصحيح، والشيء الصحيح الذي يفعله الله هو إظهار الرحمة في ضوء الحق. السؤال هو: إلى متى تدوم رحمة الله؟

"لِأَنَّ ٱلرَّبَّ صَالِحٌ، **إِلَى ٱلْأَبَدِ رَحْمَتُهُ**، وَإِلَى دَوْرٍ فَدَوْرٍ أَمَانَتُهُ" (مزمور 100: 5).

"اِحْمَدُوا ٱلرَّبَّ لِأَنَّهُ صَالِحٌ، **لِأَنَّ إِلَى ٱلْأَبَدِ رَحْمَتَهُ**. ٱحْمَدُوا إِلَهَ ٱلْآلِهَةِ، **لِأَنَّ إِلَى ٱلْأَبَدِ رَحْمَتَهُ**. ٱحْمَدُوا رَبَّ ٱلْأَرْبَابِ، **لِأَنَّ إِلَى ٱلْأَبَدِ رَحْمَتَهُ**. ٱلصَّانِعَ ٱلْعَجَائِبَ ٱلْعِظَامَ وَحْدَهُ، **لِأَنَّ إِلَى ٱلْأَبَدِ رَحْمَتَهُ**. ٱلصَّانِعَ ٱلسَّمَاوَاتِ بِفَهْمٍ، **لِأَنَّ إِلَى ٱلْأَبَدِ رَحْمَتَهُ**" (مزمور 136: 1 – 5).

إن رحمة الله لا تنتهي أبدًا، أما بالنسبة لأولئك الذين يرفضونه، فلا يوجد إله رحيم، فيعتقدون ويتوقعون أنهم سيُعاقبون على خطاياهم، ولذلك يأذن الله لاختياراتهم الخاطئة أن تدركهم وتحل عليهم، مما يسمح لإحساسهم بالعدالة أن يتحقق ويُشبَع.

"مَعْرُوفٌ هُوَ ٱلرَّبُّ. قَضَاءً أَمْضَى. ٱلشِّرِّيرُ يَعْلَقُ بِعَمَلِ يَدَيْهِ" (مزمور 9: 16).

ما هو قضاء الرب وحكمه على الأشرار؟ تقول الآية السابقة أن الله يقضي أن يقع الأشرار في شرك أعمالهم، أي أنه يسمح لهم أن يسقطوا في عواقب قراراتهم واختياراتهم، فهو لا يمنع ذلك من الحدوث. أليس هذا هو الشيء الصحيح الذي يتوجب على الله فعله؟ فإذا طلبوا الرحمة، سينالوها وسيمدهم بها لمساعدتهم على اجتياز عواقب قراراتهم، ولكن إذا لم يتوقعوا رحمةً ولم يطلبوها، فلن يتمكنوا من تلقيها حتى وإن قُدِّمت إليهم. وللأسف فمعظم الناس يعتقدون أن الله مثلنا، إذ أنهم يعتقدون أن عدالة الله هي نفس عدالتنا.

"هَذِهِ صَنَعْتَ وَسَكَتُّ. ظَنَنْتَ أَنِّي مِثْلُكَ. أُوَبِّخُكَ، وَأَصُفُّ خَطَايَاكَ أَمَامَ عَيْنَيْكَ" (مزمور 50: 21).

إذا كانت عدالة الله تتطلب الموت، فالله بذلك يكون هو خالق الموت ومبدئه. إذا كانت لدى الله أية نية لقتل أحد مخلوقاته لمخالفته شريعته، فحينئذ يكمن (يتواجد) مبدأ الموت في الله. ولكن عندما ننظر إلى الرب يسوع الذي هو إعلان الآب لا نرى فيه إلا الحياة، ولا نرى فيه موتًا.

"قَالَ لَهَا يَسُوعُ: **أَنَا هُوَ ٱلْقِيَامَةُ وَٱلْحَيَاةُ**. مَنْ آمَنَ بِي وَلَوْ مَاتَ فَسَيَحْيَا" (يوحنا 11: 25).

"ٱلَّذِي كَانَ مِنَ ٱلْبَدْءِ، ٱلَّذِي سَمِعْنَاهُ، ٱلَّذِي رَأَيْنَاهُ بِعُيُونِنَا، ٱلَّذِي شَاهَدْنَاهُ، وَلَمَسَتْهُ أَيْدِينَا، مِنْ جِهَةِ كَلِمَةِ ٱلْحَيَاةِ. **فَإِنَّ ٱلْحَيَاةَ أُظْهِرَتْ، وَقَدْ رَأَيْنَا وَنَشْهَدُ وَنُخْبِرُكُمْ بِٱلْحَيَاةِ ٱلْأَبَدِيَّةِ ٱلَّتِي كَانَتْ عِنْدَ ٱلْآبِ وَأُظْهِرَتْ لَنَا**" (يوحنا الأولى 1: 1 و2).

لم يَصدِر الله أمرًا أو حكمًا بالموت بسبب الخطية، فالخطية هي التي تقود الشخص إلى تدمير نفسه بنفسه، والكتاب يقول أن أجرة الخطية هي موت. فهي شيء يتم اكتسابه نتيجة الانخراط في الخطية. والله تبارك اسمه لا يدفع أجرة الخطية، بل الخطية هي من تدفع أجرتها. والكتاب المقدس لا يقول الأجرة نظرًا للخطية هي الموت، بل يقول أن أجرة الخطية هي موت، وشتان الفرق.

والكتاب المقدس يكشف لنا من خلال قصص العهد القديم كيف دخل أمر (حكم) الموت إلى العالم.

"لِأَنَّ كُلَّ مَا سَبَقَ فَكُتِبَ كُتِبَ لِأَجْلِ تَعْلِيمِنَا، حَتَّى بِٱلصَّبْرِ وَٱلتَّعْزِيَةِ بِمَا فِي ٱلْكُتُبِ يَكُونُ لَنَا رَجَاءٌ" (رومية 15: 4).

الشيطان هو من ابتدع أمر (حكم) الموت للخطية والتعدي. فنرى في قصة النبي دانيال وجب الأسود الطريقة التي أُدخِل بها أمر (حكم) موتٍ.

"حَسُنَ عِنْدَ دَارِيُوسَ أَنْ يُوَلِّيَ عَلَى ٱلْمَمْلَكَةِ مِئَةً وَعِشْرِينَ مَرْزُبَانًا يَكُونُونَ عَلَى ٱلْمَمْلَكَةِ كُلِّهَا. وَعَلَى هَؤُلَاءِ ثَلَاثَةَ وُزَرَاءَ أَحَدُهُمْ دَانِيآلُ، لِتُؤَدِّيَ ٱلْمَرَازِبَةُ إِلَيْهِمِ ٱلْحِسَابَ فَلَا تُصِيبَ ٱلْمَلِكَ خَسَارَةٌ. **فَفَاقَ دَانِيآلُ هَذَا عَلَى ٱلْوُزَرَاءِ وَٱلْمَرَازِبَةِ**، لِأَنَّ فِيهِ رُوحًا فَاضِلَةً. **وَفَكَّرَ ٱلْمَلِكُ فِي أَنْ يُوَلِّيَهُ عَلَى ٱلْمَمْلَكَةِ كُلِّهَا**. ثُمَّ إِنَّ ٱلْوُزَرَاءَ وَٱلْمَرَازِبَةَ كَانُوا يَطْلُبُونَ عِلَّةً يَجِدُونَهَا عَلَى دَانِيآلَ مِنْ جِهَةِ ٱلْمَمْلَكَةِ، فَلَمْ يَقْدِرُوا أَنْ يَجِدُوا عِلَّةً وَلَا ذَنْبًا، لِأَنَّهُ كَانَ أَمِينًا وَلَمْ يُوجَدْ فِيهِ خَطَأٌ وَلَا ذَنْبٌ. فَقَالَ هَؤُلَاءِ ٱلرِّجَالُ: **لَا نَجِدُ عَلَى دَانِيآلَ هَذَا عِلَّةً إِلَّا أَنْ نَجِدَهَا مِنْ جِهَةِ شَرِيعَةِ إِلَهِهِ**. حِينَئِذٍ ٱجْتَمَعَ هَؤُلَاءِ ٱلْوُزَرَاءُ وَٱلْمَرَازِبَةُ عِنْدَ ٱلْمَلِكِ

وَقَالُوا لَهُ هَكَذَا: أَيُّهَا ٱلْمَلِكُ دَارِيُوسُ، عِشْ إِلَى ٱلْأَبَدِ! **إِنَّ جَمِيعَ وُزَرَاءِ ٱلْمَمْلَكَةِ وَٱلشِّحَنِ وَٱلْمَرَازِبَةِ وَٱلْمُشِيرِينَ وَٱلْوُلَاةِ قَدْ تَشَاوَرُوا عَلَى أَنْ يَضَعُوا أَمْرًا مَلَكِيًّا وَيُشَدِّدُوا نَهْيًا، بِأَنَّ كُلَّ مَنْ يَطْلُبُ طِلْبَةً حَتَّى ثَلَاثِينَ يَوْمًا مِنْ إِلَهٍ أَوْ إِنْسَانٍ إِلَّا مِنْكَ أَيُّهَا ٱلْمَلِكُ، يُطْرَحُ فِي جُبِّ ٱلْأُسُودِ"** (دانيال 6: 1 – 7).

لقد كُتِبت هذه القصة لتنويرنا وتهذيبنا وتوعيتنا. الملك داريوس هو رمزٌ لله الآب، ودانيال النبي هو رمزٌ للسيِّد المسيح. كان دانيال في أعلى منصب بعد الملك، وفكَّر الملك في أن يولّيه على المملكة كلها، فنمت الغيرة في قلوب أولئك الذين كانت مكانتهم أقل قدرًا من مكانة دانيال. فإصطنع الوزراء والقادة الذين كانوا تحت دانيال أمرًا ملكيًا كان الغرض منه التخلص من دانيال. فنفهم من ذلك أن الملك لم يكن هو مَنْ أصدر ذلك الأمر، بل الوزراء والقادة هم مَنْ تشاوروا ووضعوا ذلك الأمر وذهبوا به إلى الملك وطلبوا منه أن يمضي الكتابة، فمضى الملك الكتابة غير عالمٍ بالنتائج أو الآثار المترتبة على ذلك. لقد كان الله جل جلاله على دراية بمحاولات الشيطان للقضاء على المسيح الذي كان أعلى منه قدرًا ومكانةً. فغار الشيطان من ابن الله وأثر على عدد من الملائكة للانضمام له فى الإطاحة بالمسيح. عندما أوقع الشيطان الجنس البشري في أشراكه، سمح الله لخطة الشيطان أن تُنفَّذ وهذا هو ما أدى إلى موت المسيح. إلا أن معظم المسيحيين في العالم يعتقدون أن موت المسيح هو لإشباع وإيفاء مطالب الملك، لكن هذا التفكير غير صحيح لأن موت المسيح كان في الواقع لإظهار رغبات الشيطان الخفية لقتل المسيح.

وفي اللحظة التي ظنَّ فيها الشيطان أن ما فعله هو أعظم انتصار له، فإنه في حقيقة الأمر قد كشف عن تخطيطه الإجرامي، وقد تلاشى تعاطف السماء بأكمله معه.

"فَأَمَرَ ٱلْمَلِكُ فَأَحْضَرُوا أُولَئِكَ ٱلرِّجَالَ ٱلَّذِينَ ٱشْتَكَوْا عَلَى دَانِيآلَ وَطَرَحُوهُمْ فِي جُبِّ ٱلْأُسُودِ هُمْ وَأَوْلَادَهُمْ وَنِسَاءَهُمْ. وَلَمْ يَصِلُوا إِلَى أَسْفَلِ ٱلْجُبِّ حَتَّى بَطَشَتْ بِهِمِ ٱلْأُسُودُ وَسَحَقَتْ كُلَّ عِظَامِهِمْ" (دانيال 6: 24).

لقد أعطى الملك داريوس أولئك الرجال الذين اشتكوا على دانيال ودبروا مكيدةً للتخلص منه، أعطاهم نفس الشيء الذي كانوا يتمنون فعله بدانيال. إن أبانا الذي في السماء سيسمح للشيطان أن يتلقى الموت والهلاك الذي كان يريد إلحاقه بالسيِّد المسيح. لقد كان السيِّد المسيح في جب الأسود طوال الليل واليوم التالي وهو في طريق الصليب. وكدانيال خرج من الجب (أي القبر) في صباح القيامة وهزم أولئك الذين كانوا يحاولون قتله والتخلص منه.

إن المغزى من هذه القصة هو أن الأشخاص الذين يأتون تحت رتبة ابن الله هم مَنْ وضعوا فكرة الموت في أذهان أولئك الذين لا يُكرِمون الآب. فالله تبارك اسمه لم يكن هو المبدئ أو

المنشئ لهذه الخطة، لكنه سمح لها بأن تُنفَّذ لفضح مخططات الشيطان ومكايده الشريرة التي كانت مخفية عن الجميع. لقد كان الهدف من شريعة حكَّام بابل هو إنصاف الملك وإجراء العدل له، فهي كانت توجد لتمثيل عدالته، ولكنها كانت عدالة مزيفة أودت إلى إهلاك أولئك الذين قاموا باصطناعها.

نرى الفرق بين عدالة الملك وأحد أبنائه في قصة أُخرى من العهد القديم.

> "وَكَانَ أَبْشَالُومُ يُبَكِّرُ وَيَقِفُ بِجَانِبِ طَرِيقِ ٱلْبَابِ، وَكُلُّ صَاحِبِ دَعْوَى آتٍ إِلَى ٱلْمَلِكِ لِأَجْلِ ٱلْحُكْمِ، كَانَ أَبْشَالُومُ يَدْعُوهُ إِلَيْهِ وَيَقُولُ: «مِنْ أَيَّةِ مَدِينَةٍ أَنْتَ؟». فَيَقُولُ: مِنْ أَحَدِ أَسْبَاطِ إِسْرَائِيلَ عَبْدُكَ. فَيَقُولُ أَبْشَالُومُ لَهُ: ٱنْظُرْ. أُمُورُكَ صَالِحَةٌ وَمُسْتَقِيمَةٌ، وَلَكِنْ لَيْسَ مَنْ يَسْمَعُ لَكَ مِنْ قِبَلِ ٱلْمَلِكِ. ثُمَّ يَقُولُ أَبْشَالُومُ: مَنْ يَجْعَلُنِي قَاضِيًا فِي ٱلْأَرْضِ فَيَأْتِيَ إِلَيَّ كُلُّ إِنْسَانٍ لَهُ خُصُومَةٌ وَدَعْوَى فَأُنْصِفَهُ؟ وَكَانَ إِذَا تَقَدَّمَ أَحَدٌ لِيَسْجُدَ لَهُ، يَمُدُّ يَدَهُ وَيُمْسِكُهُ وَيُقَبِّلُهُ. وَكَانَ أَبْشَالُومُ يَفْعَلُ مِثْلَ هَذَا ٱلْأَمْرِ لِجَمِيعِ إِسْرَائِيلَ ٱلَّذِينَ كَانُوا يَأْتُونَ لِأَجْلِ ٱلْحُكْمِ إِلَى ٱلْمَلِكِ، فَٱسْتَرَقَّ أَبْشَالُومُ قُلُوبَ رِجَالِ إِسْرَائِيلَ" (صموئيل الثاني 15: 2 – 6).

اسم أبشالوم يعني "أبو السلام"، إلا أن هذا الاسم كانت تختفي خلفه شخصيةً مليئة بالكراهية والعداء والرغبة في القتل. فقد أراد أبشالوم أن يقوم والده بمعاقبة أخيه غير الشقيق أمنون الذي اعتدى جنسيًا على ثامار أخت أبشالوم، لكن داود الملك لم يُعاقِب أمنون ولم ينفذ حكم القصاص فيه، ولذلك احتقر أبشالوم والده وعقد العزم على الإطاحة به. فقام أبشالوم بحزم الأمر ونفَّذ في أمنون حكم القصاص بالعدالة التي شعر أنها مناسبة. ثم شرع بعد ذلك في استعطاف قلوب رجال مملكة إسرائيل.

> "فَأَلَحَّ عَلَيْهِ أَبْشَالُومُ، فَأَرْسَلَ مَعَهُ أَمْنُونَ وَجَمِيعَ بَنِي ٱلْمَلِكِ. فَأَوْصَى أَبْشَالُومُ غِلْمَانَهُ قَائِلًا: ٱنْظُرُوا. مَتَى طَابَ قَلْبُ أَمْنُونَ بِٱلْخَمْرِ **وَقُلْتُ لَكُمُ ٱضْرِبُوا أَمْنُونَ فَٱقْتُلُوهُ. لَا تَخَافُوا. أَلَيْسَ أَنِّي أَنَا أَمَرْتُكُمْ؟ فَتَشَدَّدُوا وَكُونُوا ذَوِي بَأْسٍ.** فَفَعَلَ غِلْمَانُ أَبْشَالُومَ بِأَمْنُونَ كَمَا أَمَرَ أَبْشَالُومُ. فَقَامَ جَمِيعُ بَنِي ٱلْمَلِكِ وَرَكِبُوا كُلُّ وَاحِدٍ عَلَى بَغْلِهِ وَهَرَبُوا" (صموئيل الثاني 13: 27 – 29).

لم يكن الشيطان، الذي كان في الأصل لوسيفر، سعيدًا بحقيقة أن ابن الله قد تمجّد وتعظَّم. فشعر أن هذا ليس عدلاً بحقه وقرر أن يطيح بابن الله. عندما تدخل الملك (أي الآب) وأوضح حكمه، صمَّم لوسيفر على إسقاط مملكة الله وحكمه. فقد نجح في ضم العديد من الملائكة إلى جانبه. كانت القضية المطروحة هي قضية عدالة.

"ثُمَّ يَقُولُ أَبْشَالُومُ: مَنْ يَجْعَلُنِي قَاضِيًا فِي ٱلْأَرْضِ فَيَأْتِيَ إِلَيَّ كُلُّ إِنْسَانٍ لَهُ خُصُومَةٌ وَدَعْوَى فَأُنْصِفَهُ؟" (صموئيل الثاني 15: 4).

لقد كان أبشالوم يلمّح إلى أن الملك لم يكن مُنصفًا لرعاياه (أي أنه لم يجري القضاء والعدل المطلوب لهم)، لكن هذا الإدعاء كان باطلاً، حيث قرأنا سابقًا في سفر صموئيل ما يلي:

وَمَلَكَ دَاوُدُ عَلَى جَمِيعِ إِسْرَائِيلَ. **وَكَانَ دَاوُدُ يُجْرِي قَضَاءً وَعَدْلًا لِكُلِّ شَعْبِهِ"** (صموئيل الثاني 8: 15).

لقد كان داود ينصف رعاياه وكان يجري قضاءً وعدلاً لكل شعبه، لكنه لم يكن العدل الذي اعتقد أبشالوم أنه ضروري. فداود أظهر الرحمة لأن رحمة الله كانت معه وبنيت على أساسها مملكته:

"هُوَ يَبْنِي بَيْتًا لِٱسْمِي، وَأَنَا أُثَبِّتُ كُرْسِيَّ مَمْلَكَتِهِ إِلَى ٱلْأَبَدِ. أَنَا أَكُونُ لَهُ أَبًا وَهُوَ يَكُونُ لِيَ ٱبْنًا. إِنْ تَعَوَّجَ أُؤَدِّبْهُ بِقَضِيبِ ٱلنَّاسِ وَبِضَرَبَاتِ بَنِي آدَمَ. **وَلَكِنَّ رَحْمَتِي لَا تُنْزَعُ مِنْهُ** كَمَا نَزَعْتُهَا مِنْ شَاوُلَ ٱلَّذِي أَزَلْتُهُ مِنْ أَمَامِكَ. **وَيَأْمَنُ بَيْتُكَ وَمَمْلَكَتُكَ إِلَى ٱلْأَبَدِ أَمَامَكَ. كُرْسِيُّكَ يَكُونُ ثَابِتًا إِلَى ٱلْأَبَدِ"** (صموئيل الثاني 7: 13 – 16).

لم يرغب أبشالوم في مملكة مؤسسة على مبدأ العدالة التي تنبع منها الرحمة، بل أراد عدلًا يعاقب ويقتل المذنبين بلا رحمة. تعكس هذه القصة الحرب الأولى التي حدثت في السماء. فالشيطان أقنع العديد من الملائكة بأن آرائه عن العدالة ضرورية لتأمين المملكة. وبالمثل فأبشالوم أقنع بني شعبه أن أفكاره حول العدالة ستزدهر من خلالها المملكة، ويخبرنا الكتاب أنه استرق قلوب رجال إسرائيل. والشيطان أيضًا استرق قلوب عدد كبير من الملائكة، وباقي الملائكة كان لديهم فضول بشأن أفكاره وأبدوا تعاطفًا معه، والدليل على ذلك هو أن الشيطان لم يُرفَض رفضًا تامًا من السماء حتى قتل ابن الله، ولم يُطرَح إلى الأرض إلا بعد أن فعل ذلك.

"فَقَالَ لَهُمْ: رَأَيْتُ ٱلشَّيْطَانَ سَاقِطًا مِثْلَ ٱلْبَرْقِ مِنَ ٱلسَّمَاءِ" (لوقا 10: 18).

"وَذَنَبُهُ يَجُرُّ ثُلُثَ نُجُومِ ٱلسَّمَاءِ فَطَرَحَهَا إِلَى ٱلْأَرْضِ. وَٱلتِّنِّينُ وَقَفَ أَمَامَ ٱلْمَرْأَةِ ٱلْعَتِيدَةِ أَنْ تَلِدَ، حَتَّى يَبْتَلِعَ وَلَدَهَا مَتَى وَلَدَتْ. فَوَلَدَتِ ٱبْنًا ذَكَرًا عَتِيدًا أَنْ يَرْعَى جَمِيعَ ٱلْأُمَمِ بِعَصًا مِنْ حَدِيدٍ. وَٱخْتُطِفَ وَلَدُهَا إِلَى ٱللهِ وَإِلَى عَرْشِهِ" (رؤيا 12: 4 و5).

لقد أخذ الشيطان ثلث الملائكة ليكونوا معه جسديًا. فقد هاجم الكنيسة على الأرض وحاول أن يبتلع ولدها الذي هو ابن الله المولود في بيت لحم. ولم يُطرَد الشيطان من أذهان جميع من كانوا في السماء إلا بعد صعود المسيح إلى السماء.

"وَحَدَثَتْ حَرْبٌ فِي ٱلسَّمَاءِ: مِيخَائِيلُ وَمَلَائِكَتُهُ حَارَبُوا ٱلتِّنِّينَ، وَحَارَبَ ٱلتِّنِّينُ وَمَلَائِكَتُهُ وَلَمْ يَقْوَوْا، فَلَمْ يُوجَدْ مَكَانُهُمْ بَعْدَ ذَلِكَ فِي ٱلسَّمَاءِ. **فَطُرِحَ ٱلتِّنِّينُ ٱلْعَظِيمُ، ٱلْحَيَّةُ ٱلْقَدِيمَةُ ٱلْمَدْعُوُّ إِبْلِيسَ وَٱلشَّيْطَانَ، ٱلَّذِي يُضِلُّ ٱلْعَالَمَ كُلَّهُ، طُرِحَ إِلَى ٱلْأَرْضِ، وَطُرِحَتْ مَعَهُ مَلَائِكَتُهُ.** وَسَمِعْتُ صَوْتًا عَظِيمًا قَائِلًا فِي ٱلسَّمَاءِ: ٱلْآنَ صَارَ خَلَاصُ إِلَهِنَا وَقُدْرَتُهُ وَمُلْكُهُ وَسُلْطَانُ مَسِيحِهِ، لِأَنَّهُ قَدْ طُرِحَ ٱلْمُشْتَكِي عَلَى إِخْوَتِنَا، ٱلَّذِي كَانَ يَشْتَكِي عَلَيْهِمْ أَمَامَ إِلَهِنَا نَهَارًا وَلَيْلًا" (رؤيا 12: 7 – 10).

حدثت حربٌ منذ قديم الأزل بين المسيح وملائكته والشيطان وملائكته. فإنضم ثلث الملائكة إلى لوسيفر في تمرده وشره، ونتيجةً لذلك طُردوا من السماء وسقطوا في أعماق الظلام.

"**وَٱلْمَلَائِكَةُ ٱلَّذِينَ لَمْ يَحْفَظُوا رِيَاسَتَهُمْ، بَلْ تَرَكُوا مَسْكَنَهُمْ** حَفِظَهُمْ إِلَى دَيْنُونَةِ ٱلْيَوْمِ ٱلْعَظِيمِ بِقُيُودٍ أَبَدِيَّةٍ تَحْتَ ٱلظَّلَامِ" (يهوذا 1: 6).

صحيح أن الله تعالى قد طردهم، لكنهم طُردوا بسبب الأكاذيب التي بدأوا يصدقونها (رؤيا 12: 4). فأعطاهم الله سؤل قلوبهم، إذ أنهم قد تخيلوا أن الله هو إله عديم الرحمة وقاسي الفؤاد، فهربوا من تصورهم الباطل الذي ظنوا أنه حقيقة.

كان الشيطان ينوي تأسيس وتثبيت كرسيه المتضمن أفكاره المخالفة عن العدل والقصاص، وكان يريد أن يحكم خليقة الله كلها.

"وَأَنْتَ قُلْتَ فِي قَلْبِكَ: أَصْعَدُ إِلَى ٱلسَّمَاوَاتِ. **أَرْفَعُ كُرْسِيِّي فَوْقَ كَوَاكِبِ ٱللهِ،** وَأَجْلِسُ عَلَى جَبَلِ ٱلِٱجْتِمَاعِ فِي أَقَاصِي ٱلشَّمَالِ. أَصْعَدُ فَوْقَ مُرْتَفَعَاتِ ٱلسَّحَابِ. أَصِيرُ مِثْلَ ٱلْعَلِيِّ" (إشعياء 14: 13 و14).

تشير قصة أبشالوم إلى أن الأمة كلها كانت قد تأثرت بأفكاره عن العدالة والقصاص. وحقيقة أن الشيطان كان لا يزال قادرًا على الذهاب إلى السماء كممثل عن الأرض توضح لنا أن أفكاره لم تكن مفهومة بالكامل حتى من قِبَل ملائكة السماء.

"وَكَانَ ذَاتَ يَوْمٍ أَنَّهُ جَاءَ بَنُو ٱللهِ لِيَمْثُلُوا أَمَامَ ٱلرَّبِّ، وَجَاءَ ٱلشَّيْطَانُ أَيْضًا فِي وَسْطِهِمْ. فَقَالَ ٱلرَّبُّ لِلشَّيْطَانِ: «مِنْ أَيْنَ جِئْتَ؟». فَأَجَابَ ٱلشَّيْطَانُ ٱلرَّبَّ وَقَالَ: مِنَ ٱلْجَوَلَانِ فِي ٱلْأَرْضِ، وَمِنَ ٱلتَّمَشِّي فِيهَا" (أيوب 1: 6 و7).

إن ظهور الشيطان في مجلس السماء يشبه تمامًا تصرفات أبشالوم، حيث أن أبشالوم دخل إلى سراري أبيه وحاول أن ينقل ذريته إليهم في محاولةً منه لتشويه النسل الملكي.

"فَقَالَ أَخِيتُوفَلُ لِأَبْشَالُومَ: «ٱدْخُلْ إِلَى سَرَارِيِّ أَبِيكَ ٱللَّوَاتِي تَرَكَهُنَّ لِحِفْظِ ٱلْبَيْتِ، فَيَسْمَعَ كُلُّ إِسْرَائِيلَ أَنَّكَ قَدْ صِرْتَ مَكْرُوهًا مِنْ أَبِيكَ، فَتَتَشَدَّدَ أَيْدِي جَمِيعِ ٱلَّذِينَ مَعَكَ». فَنَصَبُوا لِأَبْشَالُومَ ٱلْخَيْمَةَ عَلَى ٱلسَّطْحِ، **وَدَخَلَ أَبْشَالُومُ إِلَى سَرَارِيِّ أَبِيهِ أَمَامَ جَمِيعِ إِسْرَائِيلَ**" (صموئيل الثاني 16: 21 و22).

لقد غرست كلمات الشيطان أفكارًا في العقل، وكان لها تأثير كبير على الكون. ونوايا الشيطان لم تظهر على حقيقتها إلا بعدما ظهرت بذرة القتل التي كانت في قلب آدم ضد ابن الله وانكشفت بصلب المسيح بعد مرور 4000 سنة. وهذا ما جعل الشيطان ينسب صفاته لله. ولأن الشيطان كانت لديه القدرة على إخفاء هويته الحقيقية، فقد كان لديه القدرة أيضًا على الخداع وتزوير صفات الله وشخصيته الحقيقية. وسبب امتلاكه لهذه القدرة كونه رئيس ملائكة، وباقي الملائكة كانت لديهم ثقة في معرفته بالله. وهذا ما سمح له باختلاق المكر والخبث من خلال ناموس الله.

"هَلْ يُعَاهِدُكَ كُرْسِيُّ ٱلْمَفَاسِدِ، ٱلْمُخْتَلِقُ إِثْمًا عَلَى فَرِيضَةٍ؟" (مزمور 94: 20).

جلس الشيطان على كرسي الإثم واستخدم ناموس الله ليدعّي بعنادٍ وإصرارٍ أنه ينبغي الحكم بالموت على مخالفي الناموس، وهذا ما تبينه لنا قصة النبي دانيال في جب الأسود. أما قصة أبشالوم فتُظهِر لنا أن قضية العدالة والقصاص دُفِع بها لحماية قلوب مواطني المملكة. كل هذه القصص تعكس الحرب التي بدأت رحاها في السماء ثم انتقلت إلى هذه الأرض. إلا أن القضايا مثار الخلاف والصراع لم تتغير.

ولكن بعد موت المسيح كُشِفت نوايا الشيطان الحقيقية. فقد أعلن (المسيح) للكون صفات الله الحقيقية ومحبته، وأظهر أن الله يحب أعدائه، فهو الذي قال من ضربك على خدك الأيمن فأعرض له الآخر، وهو الذي طبَّق ذلك بالفعل، فبإتضاعٍ سلَّم نفسه إلى أفظع أنواع الموت دون أن يدافع عن نفسه. لقد كشفت معاملة الشيطان وأتباعه للمسيح على الأرض عن شخصية الشيطان وصفاته الحقيقية. وهكذا فبالموت أباد المسيح مملكة ذاك الذي له سلطان الموت.

"فَإِذْ قَدْ تَشَارَكَ ٱلْأَوْلَادُ فِي ٱللَّحْمِ وَٱلدَّمِ ٱشْتَرَكَ هُوَ أَيْضًا كَذَلِكَ فِيهِمَا، **لِكَيْ يُبِيدَ بِٱلْمَوْتِ ذَاكَ ٱلَّذِي لَهُ سُلْطَانُ ٱلْمَوْتِ، أَيْ إِبْلِيسَ**" (عبرانيين 2: 14).

صدَّق الفريسيون أفكار الشيطان الخاصة بالعدالة والقصاص. لهذا أرادوا قتل المسيح، إلا أن المسيح لم يحاول قتلهم ولم يهدد بقتلهم.

"فَقَامَ رَئِيسُ ٱلْكَهَنَةِ وَقَالَ لَهُ: أَمَا تُجِيبُ بِشَيْءٍ؟ مَاذَا يَشْهَدُ بِهِ هَذَانِ عَلَيْكَ؟ وَأَمَّا يَسُوعُ فَكَانَ سَاكِتًا. فَأَجَابَ رَئِيسُ ٱلْكَهَنَةِ وَقَالَ لَهُ: أَسْتَحْلِفُكَ بِٱللهِ ٱلْحَيِّ أَنْ تَقُولَ لَنَا: هَلْ أَنْتَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ ٱللهِ؟ قَالَ لَهُ يَسُوعُ: أَنْتَ قُلْتَ! **وَأَيْضًا أَقُولُ لَكُمْ: مِنَ ٱلْآنَ تُبْصِرُونَ ٱبْنَ ٱلْإِنْسَانِ جَالِسًا عَنْ يَمِينِ ٱلْقُوَّةِ، وَآتِيًا عَلَى سَحَابِ ٱلسَّمَاءِ.** فَمَزَّقَ رَئِيسُ ٱلْكَهَنَةِ حِينَئِذٍ ثِيَابَهُ قَائِلًا: قَدْ جَدَّفَ! مَا حَاجَتُنَا بَعْدُ إِلَى شُهُودٍ؟ هَا قَدْ سَمِعْتُمْ تَجْدِيفَهُ! **مَاذَا تَرَوْنَ؟ فَأَجَابُوا وَقَالُوا: إِنَّهُ مُسْتَوْجِبُ ٱلْمَوْتِ**" (متى 26: 62 – 66).

عندما أخبر الرب يسوع الفريسيين أنه سيأتي بمجدٍ، فلم يذكر شيئًا غير أنهم سيبصرونه. لكن الفريسيون على الناحية الأخرى أدانوا المسيح وحكموا عليه بالموت. التناقض صارخ. والدليل موجود لأولئك الذين يبحثون عنه. إن عدالة الله لا تتطلب موتًا، وإنما نظام العدالة المزيف الخاص بالشيطان هو الذي يتطلب الموت. وقد سمح الله لابنه أن يموت كي تتكشف كراهية الشيطان ونظام العدالة الذي تسير عليه مملكته.

نستطيع في هذا السياق أن نحصل على فهم جديد ونور أوضح للصليب. إن الله لم يطلب موت المسيح لإيفاء مطالب العدالة، لكن البشر هم من قالوا: لنا ناموسٌ، نحن كبشر لنا ناموسٌ مكتوب في قلوبنا يتطلب الموت لكي نستطيع الحصول على الغفران.

"وَلَكِنِّي أَرَى نَامُوسًا آخَرَ فِي أَعْضَائِي يُحَارِبُ نَامُوسَ ذِهْنِي، وَيَسْبِينِي إِلَى نَامُوسِ ٱلْخَطِيَّةِ ٱلْكَائِنِ فِي أَعْضَائِي. وَيْحِي أَنَا ٱلْإِنْسَانُ ٱلشَّقِيُّ! مَنْ يُنْقِذُنِي مِنْ جَسَدِ هَذَا ٱلْمَوْتِ؟" (رومية 7: 23 و24).

أطلب من الله أن يساعدك على التحرر من ناموس الموت هذا، وأن يساعدك أيضًا على التحرر من نظام العدالة المزيف الذي يتطلب موت المذنب العاصي. انظر إلى يسوع على الصليب وتأمل في الفدية التي دفعها والتي فهمنا جميعًا أنها كانت مطلوبة كي تتحقق العدالة وتأخذ مجراها. إن عدالة الشيطان هي التي تحققت على الصليب، لأن الشيطان هو مَنْ خطف واسترق قلوب أبناء الله وطالب بدفع الثمن. أما نحن المُختطَفون فقد صدقنا الخاطف عندما قال أن السبيل الوحيد للخلاص هو دفع فدية الموت. لكن الله تبارك اسمه لم يكن هو مَنْ قام بتحديد ثمن الفدية، بل الشيطان هو الذي فعل ذلك.

الفصل السابع

وَكَمَا رَفَعَ مُوسَى الحيّة فِي الْبَرِّيَّةِ

الآن وبعد أن أوضحنا أن الرب يسوع مات لتنفيذ وتحقيق أفكار الشيطان عن العدالة كي يتسنى للبشر أن يقبلوا غفران الله لهم، سوف نتطرق الآن لدراسة ما قاله الرب يسوع بخصوص الحيَّة النحاسية التي وُضِعت على الراية.

"وَكَمَا رَفَعَ مُوسَى ٱلْحَيَّةَ فِي ٱلْبَرِّيَّةِ هَكَذَا يَنْبَغِي أَنْ يُرْفَعَ ٱبْنُ ٱلْإِنْسَانِ" (يوحنا 3: 14).

إن وجه الشبه بين الرب يسوع المعلَّق على الصليب والحيَّة النحاسية المرفوعة على الراية يبدو أمرًا غامضًا بالنسبة للعديد من دارسي الكتاب المقدس. فما هي الصلة أو العلاقة بين الإثنين؟

"وَٱرْتَحَلُوا مِنْ جَبَلِ هُورٍ فِي طَرِيقِ بَحْرِ سُوفٍ لِيَدُورُوا بِأَرْضِ أَدُومَ، فَضَاقَتْ نَفْسُ ٱلشَّعْبِ فِي ٱلطَّرِيقِ. **وَتَكَلَّمَ ٱلشَّعْبُ عَلَى ٱللهِ وَعَلَى مُوسَى قَائِلِينَ: لِمَاذَا أَصْعَدْتُمَانَا مِنْ مِصْرَ لِنَمُوتَ فِي ٱلْبَرِّيَّةِ؟** لِأَنَّهُ لَا خُبْزَ وَلَا مَاءَ، وَقَدْ كَرِهَتْ أَنْفُسُنَا ٱلطَّعَامَ ٱلسَّخِيفَ. **فَأَرْسَلَ ٱلرَّبُّ عَلَى ٱلشَّعْبِ ٱلْحَيَّاتِ ٱلْمُحْرِقَةَ، فَلَدَغَتِ ٱلشَّعْبَ، فَمَاتَ قَوْمٌ كَثِيرُونَ مِنْ إِسْرَائِيلَ.** فَأَتَى ٱلشَّعْبُ إِلَى مُوسَى وَقَالُوا: **قَدْ أَخْطَأْنَا إِذْ تَكَلَّمْنَا عَلَى ٱلرَّبِّ وَعَلَيْكَ، فَصَلِّ إِلَى ٱلرَّبِّ لِيَرْفَعَ عَنَّا ٱلْحَيَّاتِ.** فَصَلَّى مُوسَى لِأَجْلِ ٱلشَّعْبِ. فَقَالَ ٱلرَّبُّ لِمُوسَى: **ٱصْنَعْ لَكَ حَيَّةً مُحْرِقَةً وَضَعْهَا عَلَى رَايَةٍ، فَكُلُّ مَنْ لُدِغَ وَنَظَرَ إِلَيْهَا يَحْيَا.** فَصَنَعَ مُوسَى حَيَّةً مِنْ نُحَاسٍ وَوَضَعَهَا عَلَى ٱلرَّايَةِ، **فَكَانَ مَتَى لَدَغَتْ حَيَّةٌ إِنْسَانًا وَنَظَرَ إِلَى حَيَّةِ ٱلنُّحَاسِ يَحْيَا"** (سفر العدد 21: 4 – 9).

لقد أتت الحيَّات المُحرِقة لأن الشعب كسر سياج حمايته بسبب تذمره:

"مَنْ يَحْفُرْ هُوَّةً يَقَعْ فِيهَا، وَمَنْ يَنْقُضْ جِدَارًا تَلْدَغْهُ حَيَّةٌ" (الجامعة 10: 8).

إن مَنْ يُكرِمون الله بحفظ وصاياه ستحفظهم ملائكته وتحميهم، ولكن عندما يكسر البشر وصاياه باستمرار، فإن الملائكة لا يستطيعون حمايتهم بنفس السهولة.

"مَلَاكُ ٱلرَّبِّ حَالٌّ حَوْلَ خَائِفِيهِ، وَيُنَجِّيهِمْ" (مزمور 34: 7).

"رَأْسُ ٱلْحِكْمَةِ مَخَافَةُ ٱلرَّبِّ. فِطْنَةٌ جَيِّدَةٌ لِكُلِّ عَامِلِيهَا. تَسْبِيحُهُ قَائِمٌ إِلَى ٱلْأَبَدِ" (مزمور 111: 10).

لم يُرسِل الله الحيّات، لكنه سمح لهم بالمجيء لأن ملائكته لم يعودوا قادرين على حماية بني إسرائيل لأنهم خالفوا وصاياه. لكن الشعب ظنَّ أن الله هو من أرسل الحيّات، حيث أنهم كانوا يؤمنون بأن المخالفين ينبغي أن يُعاقبوا لإيفاء مطالب العدالة. لذا اعتقدوا أن الله يقتلهم بسبب خطيتهم. أُمر موسى بصنع حيَّة من النحاس/البرونز. وهذا المعدن مهم لأنه لا يتواجد بشكل طبيعي في الأرض. فهو خليط من معدنين صنعهما الله ألا وهما النحاس والخارصين (الزنك). ويخبرنا الكتاب المقدس أن أحد أبناء قايين هو الذي توصَّل إلى صنعه:

"وَصِلَّةُ أَيْضًا وَلَدَتْ تُوبَالَ قَايِينَ الضَّارِبَ كُلَّ آلَةٍ مِنْ نُحَاسٍ وَحَدِيدٍ. وَأُخْتُ تُوبَالَ قَايِينَ نَعْمَةُ" (تكوين 4: 22).

إن البرونز هو معدن من صنع الإنسان، يُنتَج بمزجه وخلطه بعناصر أخرى خلقها الله. وهو من المعادن التي ورد ذكرها في عدة أمكنة في الكتاب المقدس ويحمل في طياته آثارًا سلبيةً. فيذكر الكتاب المقدس تحت قائمة لعنات العصيان الواردة في سفر التثنية ما يلي:

"وَتَكُونُ سَمَاؤُكَ الَّتِي فَوْقَ رَأْسِكَ نُحَاسًا، وَالأَرْضُ الَّتِي تَحْتَكَ حَدِيدًا" (تثنية 28: 23).

كما يقول الرب في سفر حزقيال بعد سرده لارتداد إسرائيل وتعديهم على الناموس ما يلي:

"**يَا ابْنَ آدَمَ، قَدْ صَارَ لِي بَيْتُ إِسْرَائِيلَ زَغَلًا. كُلُّهُمْ نُحَاسٌ** وَقَصْدِيرٌ وَحَدِيدٌ وَرَصَاصٌ فِي وَسْطِ كُورٍ. صَارُوا زَغَلَ فِضَّةٍ" (حزقيال 22: 18).

فالحيَّة التي صُنِعت من النحاس (البرونز) تمثّل عدالة الحيَّة التي صُنِعت بيد الإنسان. والحيَّة ترمز للشيطان، فيقول الكتاب:

"**فَطُرِحَ التِّنِّينُ الْعَظِيمُ، الْحَيَّةُ الْقَدِيمَةُ الْمَدْعُوُّ إِبْلِيسَ وَالشَّيْطَانَ**، الَّذِي يُضِلُّ الْعَالَمَ كُلَّهُ، طُرِحَ إِلَى الأَرْضِ، وَطُرِحَتْ مَعَهُ مَلاَئِكَتُهُ" (رؤيا 12: 9).

بعد أن قُتِل بعض الإسرائيليين بسبب الحيَّات ثم تابوا عن تذمرهم، كان لديهم الاعتقاد أن خطيتهم قد غُفرت. لقد آمنوا واعترفوا أن الحيَّة المرفوعة قد مَحت خطاياهم. والذين قتلوا كانوا ذبيحةً لهذه الخطايا. وبواسطة هذه الفكرة التي كانت من صُنع الإنسان (أو الفكرة النحاسية)، استطاع الله أن يعرفهم أن خطاياهم يمكنها أن تُغتَفر وأنهم يستطيعون نيل الشفاء من لدغات

الحيَّات. لم يدركوا أو يستوعبوا أن فكرتهم عن العدالة كانت من الشيطان، فاستخدم الله فكرتهم عن العدالة بهدف قيادتهم إلى التوبة والشفاء.

وبنفس الطريقة، رُفِع المسيح على الصليب وخضع لعدالة الحيَّة كي ما ننظر نحن إلى الصليب ونؤمن أنه يمكننا نيل الغفران. فموت المسيح وحده كان هو الطريقة الوحيدة لنؤمن نحن أن الله يمكنه أن يغفر خطايانا، ولذلك فقد كان هو الثمن أو الفدية التي دُفِعت لتحرير أذهاننا.

قدَّم الرب يسوع كفارةً بديلةً من أجل خطايانا ونحن في طبيعتنا البشرية. وهذه الكفارة يُرمَز إليها بالحيَّة النحاسية وهذا هو ما وضعه الخاطف ثمنًا لحريتنا. إنه إيفاء لعدالة الحيَّة (أي عدالة الشيطان) وما يدل على ذلك هو النحاس الذي صُنِعت منه. فهي ليست من صنع السماء بل من صنع الإنسان، ومن صنع نسل قايين على وجه التحديد.

يقدّم لك هذا الفصل، أيها القارئ العزيز، نهجًا جديدًا ومختلفًا تمامًا لفهم سبب موت المسيح من أجل خطايانا. إن الكنيسة المسيحية تصر على أن الله طلب موت ابنه من أجل خلاصنا. إلا أن الكتاب المقدس يؤكد لنا بكل بوضوح:

"بِذَبِيحَةٍ وَتَقْدِمَةٍ لَمْ تُسَرَّ. أُذُنَيَّ فَتَحْتَ. مُحْرَقَةً وَذَبِيحَةَ خَطِيَّةٍ لَمْ تَطْلُبْ" (مزمور 40: 6).

لم يطلب الله هذا الموت، لكنه كان يعلم أنه بمجرد وقوعنا في شرك الشيطان، فإنه (أي الله) لن يتمكن من إقناع البشر بقدرته على غفران الخطايا ما لم يمت ابنه عوضًا عنا.

إذا كان الله يطلب موت ابنه الوحيد بدلاً لخطايانا، فإن تقديم الذبائح يصير حينئذ جزءًا لا يتجزأ من عبادة الله إلى الأبد. ولكن ما حدث كان العكس تمامًا. فبموت المسيح توقف العمل بمبدأ تقديم الذبيحة من أجل الخطية إلى الأبد.

"وَيُثَبِّتُ عَهْدًا مَعَ كَثِيرِينَ فِي أُسْبُوعٍ وَاحِدٍ، **وَفِي وَسَطِ الأُسْبُوعِ يُبَطِّلُ الذَّبِيحَةَ وَالتَّقْدِمَةَ**" (دانيال 9: 27).

لقد أبطل السيِّد المسيح الذبيحة والتقدمة بموته، والكتاب يقول عنه أنه إن ارتفع عن الأرض يجذب إليه الجميع (يوحنا 12: 32). وفقط بعد إيفاء مطالب نظام عدالتنا النحاسي وقبول غفران الله لخطايانا، فعندها يمكننا أن ننال روح الله ليسكن فينا ويغيّر عقولنا. فنحن لسنا بعد تحت مؤدب. فبمجرد أن تتغير عقولنا، سنفهم أننا لم نعد بحاجة لضرب الصخرة وإنما فقط التحدث إليها.

"خُذِ الْعَصَا وَاجْمَعِ الْجَمَاعَةَ أَنْتَ وَهَارُونُ أَخُوكَ، **وَكَلِّمَا الصَّخْرَةَ أَمَامَ أَعْيُنِهِمْ أَنْ تُعْطِيَ مَاءَهَا**، فَتُخْرِجُ لَهُمْ مَاءً مِنَ الصَّخْرَةِ وَتَسْقِي الْجَمَاعَةَ وَمَوَاشِيَهُمْ" (سفر العدد 20: 8).

للأسف لم يتبع موسى تعليمات الله فهو لم يكلّم الصخرة كما طُلِب منه. فقد أغضبه تذمر الناس، وأظهر رمز الذبيحة بضربه الصخرة، مما أدى إلى إدامة الفهم الخاطئ للعدالة وكيفية إيفاء مطالبها. ولهذا اضطر الله أن يسمح لموسى أن يموت قبل ذهابه إلى السماء، حيث أراد الله أن يرى الشعب أن هذه الفكرة كانت خاطئة. لقد كانوا بحاجة لأن يدركوا أن الله يريدهم أن يكلموه ويطلبوا منه الغفران بدون ضرب أي شيء.

هذا الضعف من جانب البشر لا يغير مقاصد الله، لكنه في الواقع يعمل مع نظام عدالتنا ليقودنا للمسيح. وفي إطار الصخرة المضروبة، يقودنا الله للإيمان بأن خطايانا قد غُفِرت، فتتدفق فينا مياه الحياة بحرية من الصخرة، أي الرب يسوع المسيح.

"وَجَمِيعَهُمْ شَرِبُوا شَرَابًا وَاحِدًا رُوحِيًّا، لأَنَّهُمْ كَانُوا يَشْرَبُونَ مِنْ صَخْرَةٍ رُوحِيَّةٍ تَابِعَتِهِمْ، وَالصَّخْرَةُ كَانَتِ الْمَسِيحَ" (كورنثوس الأولى 10: 4).

"إِذًا قَدْ كَانَ ٱلنَّامُوسُ مُؤَدِّبَنَا إِلَى ٱلْمَسِيحِ، لِكَيْ نَتَبَرَّرَ بِٱلْإِيمَانِ. وَلَكِنْ بَعْدَ مَا جَاءَ ٱلْإِيمَانُ، لَسْنَا بَعْدُ تَحْتَ مُؤَدِّبٍ" (غلاطية 3: 24 و25).

كان الغرض من الخدمة التي أُعطيت لموسى من أجل الشعب الغليظ الرقبة هي لتضخيم خطية الإنسان وشره في مرآة ناموس الله.

"ثُمَّ إِنْ كَانَتْ خِدْمَةُ ٱلْمَوْتِ، ٱلْمَنْقُوشَةُ بِأَحْرُفٍ فِي حِجَارَةٍ، قَدْ حَصَلَتْ فِي مَجْدٍ، حَتَّى لَمْ يَقْدِرْ بَنُو إِسْرَائِيلَ أَنْ يَنْظُرُوا إِلَى وَجْهِ مُوسَى لِسَبَبِ مَجْدِ وَجْهِهِ ٱلزَّائِلِ" (كورنثوس الثانية 3: 7).

إنه لشيء مجيد وعظيم أن يرى الإنسان شروره وخطاياه. إن الإنسان بطبيعته أعمى عن شره، لكن الناموس الذي أُعطي بواسطة موسى يوقظ فينا الحاجة الملحة للإنجيل وللعيش مع المسيح. إنها المرآة المُباركة التي تشخّص ضياعنا، ولا يمكننا الخلاص إلا بمعرفة حالتنا الخطرة من خلال هذه المرآة.

"لِأَنَّ ٱلنَّامُوسَ بِمُوسَى أُعْطِيَ، أَمَّا ٱلنِّعْمَةُ وَٱلْحَقُّ فَبِيَسُوعَ ٱلْمَسِيحِ صَارَا" (يوحنا 1: 17).

لقد كانت بالتأكيد نعمة الرب يسوع متاحة من قبل تأسيس العالم. ونحن اليوم نحتاج إلى هذه المرآة في الناموس لتكشف لنا حالتنا الضائعة اليائسة.

"ٱلَّذِي خَلَّصَنَا وَدَعَانَا دَعْوَةً مُقَدَّسَةً، لَا بِمُقْتَضَى أَعْمَالِنَا، **بَلْ بِمُقْتَضَى ٱلْقَصْدِ وَٱلنِّعْمَةِ ٱلَّتِي أُعْطِيَتْ لَنَا فِي ٱلْمَسِيحِ يَسُوعَ قَبْلَ ٱلْأَزْمِنَةِ ٱلْأَزَلِيَّةِ**" (تيموثاوس الثانية 1: 9).

لقد كان الناموس والإنجيل يعملان معًا منذ بداية سقوط الإنسان وحتى يومنا هذا. وكلاهما ضروريان لإعادة الإنسان إلى علاقة تامة وكاملة مع الله.

إن قصة الحيَّة النحاسية لها أهمية لأسباب عديدة: فهي تكشف لنا أن المسيح رُفِع على الصليب لتسديد مطالب مبدأ العدالة الذي أسسه الشيطان واحتضنته البشرية. سوف نبحث في الفصل القادم والأخير عن النحاس في المقدس (خيمة الاجتماع)، مركز عبادة شعب الله في العهد القديم، وسوف نكتشف المزيد من الأدلة على أن أبانا الحبيب لم يرغب أو يسرُّ بموت ابنه، بل بذله لأجلنا حتى نؤمن.

"ٱلَّذِي لَمْ يُشْفِقْ عَلَى ٱبْنِهِ، بَلْ بَذَلَهُ لِأَجْلِنَا أَجْمَعِينَ، كَيْفَ لَا يَهَبُنَا أَيْضًا مَعَهُ كُلَّ شَيْءٍ؟" (رومية 8: 32).

الفصل الثامن

اَللَّهُمَّ، فِي الْقُدْسِ طَرِيقُكَ

أتذكر عندما كنت طفلاً أنني كنت عازمًا على قراءة الكتاب المقدس كله. ولكن عندما وصلت إلى سفر الخروج وجدت صعوبة في المواصلة. فقد كانت قراءة جميع التعليمات المتعلقة ببناء مقدس الله مملة للغاية بالنسبة لطفل عمره 12 عامًا. إلا أن هذه التعليمات تحتوي على حقائق غالية تشرح لنا الإنجيل. وكما نعلم أن الصورة تعبّر وتشرح آلاف الكلمات، فقد أدرجت لك، عزيزي القارئ، بعض الصور لتعطيك لمحة سريعة عن المَقدِس أو خيمة الاجتماع والأجزاء التي يتكون منها.

تجدر الإشارة إلى أن المعادن المُستخدمة في أثاث المَقدِس (خيمة الاجتماع) هي على النحو التالي:

الأثاث	المعدن المستخدم	الموقع
مذبح المحرقة	النحاس / البرونز	الدار الخارجية
المرحضة	النحاس / البرونز	الدار الخارجية
منارة الذهب	الذهب	القدس
مائدة خبز الوجوه	الذهب	القدس
مذبح البخور	الذهب	القدس
تابوت العهد	الذهب	قدس الأقداس

كانت جدران المَقدِس مغطاة بالذهب ومثبتة معًا بقواعد من الفضة.

"وَتَصْنَعُ ٱلْأَلْوَاحَ لِلْمَسْكَنِ مِنْ خَشَبِ ٱلسَّنْطِ قَائِمَةً. طُولُ ٱللَّوْحِ عَشَرُ أَذْرُعٍ، وَعَرْضُ ٱللَّوْحِ ٱلْوَاحِدِ ذِرَاعٌ وَنِصْفٌ. وَلِلَّوْحِ ٱلْوَاحِدِ رِجْلَانِ مَقْرُونَةٌ إِحْدَاهُمَا

بِٱلْأُخْرَى. هَكَذَا تَصْنَعُ لِجَمِيعِ أَلْوَاحِ ٱلْمَسْكَنِ. وَتَصْنَعُ ٱلْأَلْوَاحَ لِلْمَسْكَنِ عِشْرِينَ لَوْحًا إِلَى جِهَةِ ٱلْجَنُوبِ نَحْوَ ٱلتَّيْمَنِ. **وَتَصْنَعُ أَرْبَعِينَ قَاعِدَةً مِنْ فِضَّةٍ** تَحْتَ ٱلْعِشْرِينَ لَوْحًا. تَحْتَ ٱللَّوْحِ ٱلْوَاحِدِ قَاعِدَتَانِ لِرِجْلَيْهِ، وَتَحْتَ ٱللَّوْحِ ٱلْوَاحِدِ قَاعِدَتَانِ لِرِجْلَيْهِ ... **وَتُغَشِّي ٱلْأَلْوَاحَ بِذَهَبٍ، وَتَصْنَعُ حَلَقَاتِهَا مِنْ ذَهَبٍ بُيُوتًا لِلْعَوَارِضِ، وَتُغَشِّي** ٱلْعَوَارِضَ بِذَهَبٍ" (خروج 26: 15 – 19 و29).

والستور الداخلية المستخدمة في المَقدِس كانت مثبتة معًا بالذهب، أما الستور الموجودة في الجزء الخارجي من المَقدِس فقد كانت مثبتة بالنحاس.

"أما المسكن فتصنع سقفه من عشرة ستور كتانية مبرومة بإتقان، ذات ألوان زرقاء وبنفسجية وحمراء طرز عليها حائك ماهر (رسم) الكروبيم ... **ثم اصنع خمسين مشبكًا من ذهب تصل بها عري المجموعتين،** فتتصل المجموعتان معًا لتصبحا سقفًا واحدًا للمسكن" (خروج 26: 1 و6 – الترجمة التفسيرية، كتاب الحياة).

"وتصنع أيضًا سقفًا ثانيًا للمسكن، من أحد عشر ستارًا من نسيج شعر المعزى ... **وتصنع خمسين مشبكًا من نحاس تدخلها في العرى فتتصل المجموعتان معًا،** لتصبحا سقفًا ثانيًا للمسكن. ويتبقى لديك ذراع (نحو نصف المتر) من غطاء السقف مدلى لحجب مؤخر المسكن" (خروج 26: 7 و11 و12 – الترجمة التفسيرية، كتاب الحياة).

إن أولئك الذين يتقدَّسون بالإنجيل تخلو صفاتهم من النحاس، وكلامهم نقي.

"**ثُفَّاحٌ مِنْ ذَهَبٍ فِي مَصُوغٍ مِنْ فِضَّةٍ،** كَلِمَةٌ مَقُولَةٌ فِي مَحَلِّهَا. قُرْطٌ مِنْ ذَهَبٍ وَحُلِيٌّ مِنْ إِبْرِيزٍ، ٱلْمُوَبِّخُ ٱلْحَكِيمُ لِأُذُنٍ سَامِعَةٍ" (أمثال 25: 11 و12).

ستور المَقدِس الخارجية التي يوجد بها نحاس تمثل أجسادنا. وهذه الستور النحاسية ستتطهر في المجيء الثاني عندما تلبس أجسادنا البشرية الفانية لباس الخلود وعدم الموت.

"هُوَذَا سِرٌّ أَقُولُهُ لَكُمْ: لَا نَرْقُدُ كُلُّنَا، وَلَكِنَّنَا كُلُّنَا نَتَغَيَّرُ، فِي لَحْظَةٍ فِي طَرْفَةِ عَيْنٍ، عِنْدَ ٱلْبُوقِ ٱلْأَخِيرِ. فَإِنَّهُ سَيُبَوَّقُ، فَيُقَامُ ٱلْأَمْوَاتُ عَدِيمِي فَسَادٍ، وَنَحْنُ نَتَغَيَّرُ. **لِأَنَّ هَذَا ٱلْفَاسِدَ لَابُدَّ أَنْ يَلْبَسَ عَدَمَ فَسَادٍ، وَهَذَا ٱلْمَائِتَ يَلْبَسُ عَدَمَ مَوْتٍ**" (كورنثوس الأولى 15: 51 – 53).

ستُصنَع المدينة السماوية من الذهب النقي الذي يمثل صفات الساكنين فيها.

"وَكَانَ بِنَاءُ سُورِهَا مِنْ يَشْبٍ، **وَٱلْمَدِينَةُ ذَهَبٌ نَقِيٌّ شِبْهُ زُجَاجٍ نَقِيٍّ**" (رؤيا 21: 18).

"أُشِيرُ عَلَيْكَ أَنْ تَشْتَرِيَ مِنِّي ذَهَبًا مُصَفًّى بِٱلنَّارِ لِكَيْ تَسْتَغْنِيَ، وَثِيَابًا بِيضًا لِكَيْ تَلْبَسَ، فَلَا يَظْهَرُ خِزْيُ عُرْيَتِكَ. وَكَحِّلْ عَيْنَيْكَ بِكُحْلٍ لِكَيْ تُبْصِرَ" (رؤيا 3: 18).

كما ذكرنا في الفصل السابق فإن النحاس أو البرونز هو من صنع الإنسان (تكوين 4: 22). أي أنه محاولة لمزج وخلط الأمور المختصة بالله وفقًا لتفكير الإنسان. إلا أن طريق الله هو في القدس كما يقول الكتاب. وإذ نتقدَّم من الدار الخارجية وندخل إلى قدس الأقداس، سوف نتطهر من النحاس، ولن يتبقى إلا الذهب والفضة. وإذ نتقدم في حياتنا الروحية، فعلينا أن نترك الدار الخارجية ونطرحها خارجًا لأنها قد أُعطيت للأمم.

"ثُمَّ أُعْطِيتُ قَصَبَةً شِبْهَ عَصًا، وَوَقَفَ ٱلْمَلَاكُ قَائِلًا لِي: «قُمْ وَقِسْ هَيْكَلَ ٱللهِ وَٱلْمَذْبَحَ وَٱلسَّاجِدِينَ فِيهِ. **وَأَمَّا ٱلدَّارُ ٱلَّتِي هِيَ خَارِجَ ٱلْهَيْكَلِ، فَٱطْرَحْهَا خَارِجًا وَلَا تَقِسْهَا، لِأَنَّهَا قَدْ أُعْطِيَتْ لِلْأُمَمِ**، وَسَيَدُوسُونَ ٱلْمَدِينَةَ ٱلْمُقَدَّسَةَ ٱثْنَيْنِ وَأَرْبَعِينَ شَهْرًا" (رؤيا 11: 1 و2).

لقد أُعطيت الدار الخارجية للأمم، حيث أنه المكان الذي يتقابل فيه المذنبون الملوثون بالخطايا (النحاس) مع الإنجيل للمرة الأولى. أما مذبح المحرقة فيشير إلى صليب المسيح الذي يُمثَّل بمعدن النحاس، ولذا فهو من صنع الإنسان، لأن الإنسان كان يحتاج إليه لإيفاء مطالب ومبادئ عدالته. وبعد أن نلتقي بالصليب، يجعل الله الخطيَّة والشر الذي نقترفه يَكثُر في المرآة الموجودة في مرحضة النحاس.

"وصنع حوض الاغتسال (أي المرحضة) وقاعدته من نحاس. **صهرها من المرايا النحاسية** التي تبرعت بها النساء اللواتي احتشدن عند مدخل خيمة الاجتماع" (خروج 38: 8 – الترجمة التفسيرية، كتاب الحياة).

عندما ينظر البشر إلى أنفسهم في ضوء الناموس، فإن إحساسهم بالذنب والدينونة يزداد لدرجة أنهم يصبحون يائسين من حياتهم. ولكن عندما يدخل روح المسيح في قلوبنا، فإننا سنُبَكِّت بشدة عَلَى الخطيَّة.

"وَمَتَى جَاءَ ذَاكَ **يُبَكِّتُ ٱلْعَالَمَ عَلَى خَطِيَّةٍ** وَعَلَى بِرٍّ وَعَلَى دَيْنُونَةٍ" (يوحنا 16: 8).

إن الذين يؤمنون حقًا بأن الله يغفر لهم وهم في حالتهم اليائسة ينظرون إلى ذبيحة الفداء وهم واقفون بجانب مذبح المحرقة، فتزداد النعمة حولهم، ويبدأون فى كسب الذهب المتمثل فى الإيمان الحقيقي فى النفس والذى يُشترى من كور المشقة والألم.

"وَأَمَّا ٱلنَّامُوسُ فَدَخَلَ لِكَيْ تَكْثُرَ ٱلْخَطِيَّةُ. وَلَكِنْ حَيْثُ كَثُرَتِ ٱلْخَطِيَّةُ ٱزْدَادَتِ ٱلنِّعْمَةُ جِدًّا" (رومية 5: 20).

و بازدياد ذهب إيماننا، نتطهَّر من الخطايا ومن نحاس تفكيرنا القديم حتى يخلو ذهننا تمامًا من فكر الخطية.

"وَإِلَّا، أَفَمَا زَالَتْ تُقَدَّمُ؟ مِنْ أَجْلِ أَنَّ ٱلْخَادِمِينَ، وَهُمْ مُطَهَّرُونَ مَرَّةً، **لَا يَكُونُ لَهُمْ أَيْضًا ضَمِيرُ خَطَايَا**" (عبرانيين 10: 2).

وبعد ذلك لا يكون هناك أي تفكير في تقديم الذبائح، ولا ضرب للصخرة إنما التحدث إليها فقط.

"لَكِنْ فِيهَا كُلَّ سَنَةٍ ذِكْرُ خَطَايَا. **لِأَنَّهُ لَا يُمْكِنُ أَنَّ دَمَ ثِيرَانٍ وَتُيُوسٍ يَرْفَعُ خَطَايَا**. لِذَلِكَ عِنْدَ دُخُولِهِ إِلَى ٱلْعَالَمِ يَقُولُ: **ذَبِيحَةً وَقُرْبَانًا لَمْ تُرِدْ**، وَلَكِنْ هَيَّأْتَ لِي جَسَدًا. **بِمُحْرَقَاتٍ وَذَبَائِحَ لِلْخَطِيَّةِ لَمْ تُسَرَّ**. ثُمَّ قُلْتُ: هَأَنَذَا أَجِيءُ. فِي دَرْجِ ٱلْكِتَابِ مَكْتُوبٌ عَنِّي، لِأَفْعَلَ مَشِيئَتَكَ يَا ٱللهُ. إِذْ يَقُولُ آنِفًا: إِنَّكَ ذَبِيحَةً وَقُرْبَانًا وَمُحْرَقَاتٍ وَذَبَائِحَ لِلْخَطِيَّةِ لَمْ تُرِدْ وَلَا سُرِرْتَ بِهَا. ٱلَّتِي تُقَدَّمُ حَسَبَ ٱلنَّامُوسِ. **ثُمَّ قَالَ: «هَأَنَذَا أَجِيءُ لِأَفْعَلَ مَشِيئَتَكَ يَا ٱللهُ». يَنْزِعُ ٱلْأَوَّلَ لِكَيْ يُثْبِّتَ ٱلثَّانِيَ.** فَبِهَذِهِ ٱلْمَشِيئَةِ نَحْنُ مُقَدَّسُونَ بِتَقْدِيمِ جَسَدِ يَسُوعَ ٱلْمَسِيحِ مَرَّةً وَاحِدَةً" (عبرانيين 10: 3 – 10).

لقد مات الرب يسوع مرةً واحدةً من أجل الجميع كما ترمز الحيَّة النحاسية على مذبح النحاس. ولكن بمجرد أن نمتلئ بالروح، فإن الصليب يأخذ منحنى وتركيز مختلف تمامًا. إن العبرة هنا في إنكار الذات الرائع الذي تجلَّى في المسيح، واستعلان صفات الآب فيه، فمذبح المحرقة (ضرب الصخرة) يُستبدَل بمذبح البخور (التحدث إلى الصخرة)، وسفك الدم على صليب الجلجثة نستطيع أن نفهمه الآن في سياق سفك الدم في جثسيماني حيث أكمل الرب يسوع العمل الذي أعطاه الآب له.

"أَنَا مَجَّدْتُكَ عَلَى ٱلْأَرْضِ. ٱلْعَمَلَ ٱلَّذِي أَعْطَيْتَنِي لِأَعْمَلَ قَدْ أَكْمَلْتُهُ" (يوحنا 17: 4).

انظر واحيا أيها الخاطئ الحبيب. لم يُرسِل الله ابنه إلى العالم ليدين العالم (يوحنا 3: 16 و17). ففي إطار وسياق مذبح الذهب، أرسل الله ابنه ليعلن صفاته ويأخذ على عاتقه خطايانا وذنوبنا حتى نؤمن بغفران الله.

لم يرسل أبانا الحبيب ابنه ليقول لنا "هذا ما أردت فعله بكم بسبب خطاياكم، ولكنني قررت أن أقتل ابني بدلاً منكم لشدة غضبي". أي أب سيفعل هذا لأبنائه؟ أعِد دراسة الصليب في هذا الإطار الذهبي وستكتشف شيئًا ثمينًا لدرجة أنك ستبكي من شدة الفرح.

عندما تخرج من الدار الخارجية المصنوعة من النحاس وتدخل إلى القدس المصنوع من الذهب والفضة، سترى أن عدالة الله تختلف تمامًا عن عدالة الناس، إذ يخبرنا الكتاب المقدس:

> "لِيَتْرُكِ ٱلشِّرِّيرُ طَرِيقَهُ، وَرَجُلُ ٱلْإِثْمِ أَفْكَارَهُ، وَلْيَتُبْ إِلَى ٱلرَّبِّ فَيَرْحَمَهُ، **وَإِلَى إِلَهِنَا لِأَنَّهُ يُكْثِرُ ٱلْغُفْرَانَ. لِأَنَّ أَفْكَارِي لَيْسَتْ أَفْكَارَكُمْ، وَلَا طُرُقُكُمْ طُرُقِي،** يَقُولُ ٱلرَّبُّ. **لِأَنَّهُ كَمَا عَلَتِ ٱلسَّمَاوَاتُ عَنِ ٱلْأَرْضِ، هَكَذَا عَلَتْ طُرُقِي عَنْ طُرُقِكُمْ وَأَفْكَارِي عَنْ أَفْكَارِكُمْ.** لِأَنَّهُ كَمَا يَنْزِلُ ٱلْمَطَرُ وَٱلثَّلْجُ مِنَ ٱلسَّمَاءِ وَلَا يَرْجِعَانِ إِلَى هُنَاكَ، بَلْ يُرْوِيَانِ ٱلْأَرْضَ وَيَجْعَلَانِهَا تَلِدُ وَتُنْبِتُ وَتُعْطِي زَرْعًا لِلزَّارِعِ وَخُبْزًا لِلْآكِلِ، هَكَذَا تَكُونُ كَلِمَتِي ٱلَّتِي تَخْرُجُ مِنْ فَمِي. لَا تَرْجِعُ إِلَيَّ فَارِغَةً، بَلْ تَعْمَلُ مَا سُرِرْتُ بِهِ وَتَنْجَحُ فِي مَا أَرْسَلْتُهَا لَهُ. **لِأَنَّكُمْ بِفَرَحٍ تَخْرُجُونَ وَبِسَلَامٍ تُحْضَرُونَ. ٱلْجِبَالُ وَٱلْآكَامُ تُشِيدُ أَمَامَكُمْ تَرَنُّمًا، وَكُلُّ شَجَرِ ٱلْحَقْلِ تُصَفِّقُ بِٱلْأَيَادِي.** عِوَضًا عَنِ ٱلشَّوْكِ يَنْبُتُ سَرْوٌ، وَعِوَضًا عَنِ ٱلْقَرِيسِ يَطْلَعُ آسٌ. **وَيَكُونُ لِلرَّبِّ ٱسْمًا، عَلَامَةً أَبَدِيَّةً لَا تَنْقَطِعُ"** (إشعياء 55: 7 – 13).

أصلي من أعماق قلبي أن تروا صليب المسيح في ضوء أكثر جمالاً وطهارةً، وأن تنقوا أنفسكم من العدالة النحاسية – عدالة البشر والملائكة الساقطين. أقبلوا إلى نور محبة أبينا لأن محبته (أغابي) لديها القدرة أن تطرح كل خوف إلى خارج.

ما أعجبنَّ نعمةً حياتي أنقذت

إذ كنت أعمى تائهًا فعيني أبصرت

الخوفَ فيَّ أشعلتْ فالخوفَ بدَّدتْ

وَحين مُؤمِنًا أتَيْتْ ثمينةً بدتْ

تجاربًا مَعَ الكمدْ صادفتُ وَالعنا

تكفيني نعمةُّ الصَّمَدْ في رحلتي هنا

مهما بقائي طالَ في ديارِ البهجةِ

تبقَى دهورٌ أشدو فيها فضلَ النعمةِ

الفصل التاسع

تسبحة ختامية

إلى مخلصي الحبيب، لقد أتيتني وأنا غارق بظلمات خطيتي، مؤكدًا غفران الآب لي بطريقة أستطيع فهمها و قبولها. أبكي على العذاب الذي عانيته من أجلي. وإذ كنت ممتلئًا برحمة أبيك وعطفه، فقد تحديت ظلمة هذا العالم الحالكة لتنقذ خرافك الضالة .

بطيء القلب في فهم حقيقة ما فعلته. الأبدية كلها لا تستطيع أن تكشف لي عن عمق محبتك. فمحبتك ينبوع لا ينضب سأظل أشرب منه على الدوام، ولن أمل أبدًا من مذاقه.

رغبتي أن أتبعك أينما ذهبت، أيها الحَمَلُ الكريم. لقد اشتريتني وافتديتني بثمن غالٍ جدًا. أشعر أحيانًا أنني لا أستحق محبتك، ولكني أثق أنك لن تتركني ولن تهملني. أشكرك ربي لأنك أرسلت روحك الغالي الكريم ليعزيني ويباركني.

مخلصي الحبيب، أرغب وأتمنى من كل قلبي أن نكون في ملكوت الآب مع أولئك الذين أعطيتني إياهم في هذه الرسالة. أشعر بمحبتك لهم في قلبي، ورغبتي عظيمة لأجل خلاصهم. أشكرك لأني أستطيع تذوق محبتك لأبنائك، وأن أتحد معك في رغبتك أن يتعرَّف العالم على أبينا وصفاته الحقيقية.

يا إلهي هبني روحك الحلو لكي أمجدك كما مجدَّت الآب بحياتك تمجيدًا رائعًا. ليتك تتجسَّد فينا كي تقبل قلوب البشر الكفارة، لأنك كلفتنا وعهدت إلينا بعمل المصالحة.

وَكَحِّلْ عَينيِ كل مَنْ يقرأ هذا الكتاب بِكُحْل لكي يُبصِر الجمال الحقيقي للصليب، وساعدنا ألا نخشى من أن نُصلَب معك كي تركع كل ركبة ويعترف كل لسان بأنك رب لمجد أبينا الحبيب.

في اسمك المبارك، أيها الرب يسوع

آمين.

كتب أخرى متاحة للتحميل عبر موقعنا fatheroflove.info

أغابي

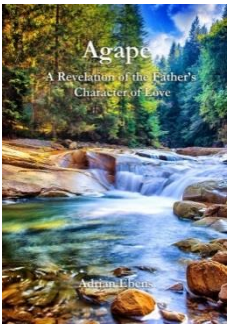

في هذا الكتاب نتعمَّق في دراسة الدليل الكتابي على أن إله العهد القديم هو نفسه إله العهد الجديد الذي أعلنه الرب يسوع عندما كان على الأرض. يعرض هذا الكتاب دراسة منهجية مفصلَّة للحقائق التي تساعدنا على فهم العديد من قصص الكتاب المقدس بطريقة مباشرة لم يتطرق إليها أحدًا من قبل. يحتوي هذا الكتاب على 300 صفحة، وهو من الكتب الجادة لمن يبحثون حقًّا عن أجوبة لأسئلتهم. والكتيب الذي بين يديك الآن هو ملخص رائع لهذا الكتاب.

الحبُّ الخالصُ

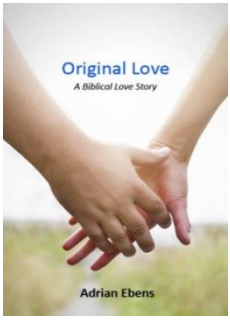

ماذا يعلِّمنا الكتاب المقدَّس عن الحبّ الحقيقي ضمن الزواج. مع وجود الكثير مِن وجع القلب في العلاقات بين الذكور والإناث، يلفت كتاب "الحبّ الخالص" أنظارنا إلى علاقتنا الأصلية في عدن، ويعطينا بعض المفاتيح التي تجعل زواجنا أفضل اليوم.

الصراع على الهوية

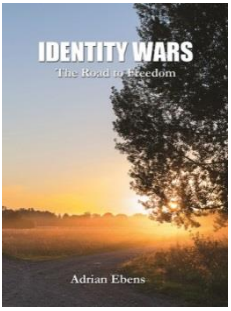

يصف هذا الكتاب ما يدور في حياتنا مِن صراعات على الهويَّة، بدايةً مِن مشاعر عدم القيمة وعدم الكفاية، وصولاً إلى القبول السلمي لقيمتنا الحقيقيّة ــ وهذا هو اليقين الذي يغيِّر الحياة ــ والذي أعطاه الله لنا مِن خلال ابنه.

لماذا كان الصليب مطلوبًا ومن طلبه؟

لماذا كان الصليب ضروريًا لخلاصنا؟

هل أشبع (أرضى) الله غضبه بموت ابنه؟

ما هي عدالة الله؟ وهل هي مختلفة عن عدالتنا؟

لماذا قارن الرب يسوع نفسه بالحيَّة النحاسية المرفوعة على الراية

ماذا يخبرنا المَقدِس العبراني عن الصليب؟

أدريان إيبنز هو كاتب ومتحدث دولي، يقيم حاليًا في مدينة بريسبان بأستراليا. وهو متزوج ولديه ابنان بالغان.

fatheroflove.info